٢٣

مجلة
روايات أحلام

لا أحد يشبهك

www.elromancia.com

مرمورية

مجلة روايات أحلام

www.elromancia.com

لا أحد يشبهك

ـ هل فكّرت بنتائج عملك؟

ـ أجل. أنا والسيد موريل وابنته سنكون وحدنا في القصر وعندها سيبدأ الهمس والتساؤل في القرية!.

ظن هاري موريل، على أثر حادثة مروعة شوهت وجهه، أنه عانى ما يكفي، ولم يعد في حياته مكان للنساء، ولا مشاعر ما عدا الكراهية وعدم الثقة.

لكن لماذا يجب أن تهتم كارولا بهذا، فوظيفتها هي تعليم ابنته الصغيرة، وعليها أن تحصّن قلبها وعواطفها ضد آراء هاري موريل وتصرفاته القاسية، وإلا ستعاني من إذلاله لها.

١ ـ ممنوع الدخول

تلألأت أبراج «قصر بكلاند» الطويلة بالأنوار الغريبة، نتيجة انعكاس اضواء سيارة كارولا وارندر التي أوقفتها وبسرعة فائقة، بعد عبورها الطريق الداخلية للقصر الذي تستخدمه كطريق مختصر للوصول إلى منزل عمتها. سادت العتمة المخيفة، بعد اطفاء مصابيح السيارة، وكذلك الصمت الرهيب مما جعلها ترتجف خاصة عندما سمعت نعيق بومة الشؤم ينبعث من بين الأشجار.

«قصر بكلاند» كان فارغاً منذ أكثر من سنتين... أبراجه المرتفعة تناطح السماء، أرضه الواسعة المهجورة مليئة بالعشب والأشواك الضارة. خلال عطلة الصيف، منذ ستة أشهر، جابت كارولا حديقته الموحشة مفكرة باستئجار عمال لإصلاحها وتنظيفها، لكن عمتها ايما منعتها بشدة من التدخل.

القصر الآن، للغرابة، مسكون من جديد. أنواره تتلألأ ساخرة في وجه كارولا وهي جالسة في سيارتها تحدق به عابسة... يا للغرابة! إن العمة ايما لم تذكر هذا في رسائلها... ادارت محرك السيارة تواقة إلى استبدال هذه العتمة المخيفة بدفء منزل عمتها...

وهبطت الطريق أمامها هبوطاً حاداً أخفى جدران القصر المرتفعة والذي تم إصلاح مزاليج أبوابه الصدأة، المهجورة منذ سنوات، وقد أقفلت الآن وللمرة الأولى، وعُلقت لوحة كتب عليها «ممنوع الدخول».

ابتسمت كارولا سارَّة لنفسها... سيكون من المسلي معرفة المزيد عن شاغلي القصر الجدد، وعمتها ايما، لا شك، قادرة على تنويرها فهي تمتلك «قاعة الشاي» الوحيدة في القرية، تلك القاعة التي طالما أسمتها كارولا «قاعة الأخبار» فمعظم الشائعات والفضائح تنتقل عبرها من شخص لآخر خلال تناول فنجان الشاي.

ـ كارولا يا ابنتي... كنت أتوقع وصولك منذ نصف ساعة... لم تعجبني أبداً فكرة القيادة ليلاً، خاصة لامرأة وحدها.

ـ توقفي عن القلق... لقد وصلت سالمة.

ايما نورد، بنفسيتها الوقورة، وطبيعتها المدققة، كانت الأم والأب لكارولا منذ كانت في الثانية عشرة، بعد فقدانها لوالديها إثر حادثة غرق يختهما. كانت الحادثة ضربة موجعة للطفلة، لكن العمة، المترملة حديثاً آنذاك، سارعت لضمها تحت جناحها لتعويضها عن الخسارة بحنان رائع أنسى كارولا مصابها، حيث عاشت مع العمة حياة ملؤها السعادة والهناء.

وضعت العمة طبقاً من الحساء الساخن أمام كارولا.

ـ اشربي الحساء، قبل أن تتحدث.

نبرة الصوت هذه تعرفها كارولا منذ نعومة أظافرها، نبرة تعبر تماماً عن حالتها النفسية عندما تكون منزعجة من شيء ما وانزعاج العمة الآن يبدو واضحاً. والسبب واضح كذلك. إنه استقالة كارولا من وظيفتها كمدرسة بعد خدمة خمس سنوات.

ـ لماذا فعلت هذا؟ لماذا ضيعت تعب خمس سنوات؟

ـ ليس الأمر وليد الساعة عمتي... منذ وقت طويل وأنا أحس بأنني مخنوقة... فقررت منح نفسي إجازة طويلة قبل أن أبحث عن عمل في مجال آخر يكون أكثر إثارة للاهتمام.

ـ وما هو أكثر أهمية، أو مكافئة، من التدريس؟ لا تبتسمي لي

بهذا الأسلوب المتسامح!

بلعت كارولا ريقها، ودفعت خصلة من شعرها الحريري وراء أذنها:

ـ ألا تعجبك فكرة وجودي في المنزل لفترة؟

هجوم كارولا اللطيف على عمتها كان من أفضل وسائل الدفاع عن نفسها لذا ابتسمت منتصرة عندما شاهدت تعابير وجه العمة توحي بالهدوء والسكينة.

ـ بل من الرائع أن تعودي للعيش معي في المنزل مجدداً... أنت الآن في سن الخامسة والعشرين، وأعتقد أنك تدركين ما هو المناسب لك؟

ارتاحت كارولا لاقفال الموضوع، خاصة وأن عمتها لم تصر على طلب تفسير للأمر... واخذت تراقب العمة وهي تحضر الشاي... وغرقت في ذكريات الماضي. ذكريات الطفولة، يوم دخولها هذا المنزل الريفي وهي طفلة. بل وقبل هذه الفترة أيضاً عندما تركت لوحدها في رعاية خدم سود، بسبب إصابة والديها بجنون التجول والسفر الدائم بهدف استكشاف أجزاء العالم المختلفة. وبعد موتهما، ترك الأمر لعمتها ايما لتعلمها معنى النظام والتقيد به. إلى جانب أشياء أخرى، منها احترام خصوصية أفكار ورغبات الآخرين... قالت لها: «لا تقتحمي خصوصية غيرك ما لم يدعك تفعلين».

وضعت العمة إبريق الشاي وفنجاناً أمامها، وسألتها:

ـ عند مروري بقصر «بكلاند» رأيته مضيئاً. لم أكن أدري أنه عاد مسكوناً، لذلك عبرت طريقه الخاصة لأصل إلى هنا.

هزت العمة رأسها الرمادي بحزن:

ـ اوه يا عزيزتي... بلدة لونغفيلد لم تعد كما كانت منذ قدوم

هاري موريل وابنته إلى القصر منذ ثلاثة أشهر مع مجموعة من الخدم.

حب الفضول والاستكشاف حركا ذهنها لكنها لم تجد الصدى لذلك، فاسرعت بالقول:

ـ موريل؟ اسم غير عادي! ربما ليس أميركياً، هل جاء إلى هنا بعد أن تقاعد عن العمل؟

ـ لا أظن هذا. لمحته يوماً، وبدا لي شاباً. إنه رجل أسمر... شرس المنظر، يسير في الشارع وكأنه مالك له.

ـ وابنته؟

ـ إنها في السابعة من عمرها. سمراء جميلة، مثيرة للشفقة.

ـ هيا الآن عمتي... أية إشاعات استخلصتها من «قاعة الأخبار»؟

ـ القليل... ما عدا البعض منها تسللت من القصر إلى البلدة. حصل حادث من سبعة أشهر، قتلت فيه زوجته وابنه البالغ عشر سنوات. هذا كل ما لدي لك من أخبار. كما أن السيد موريل لم يفتن رجال القرية بسبب إقفاله الدائم لأبواب القصر، ووضع لوحة كتب عليها ممنوع الدخول.

تصورت كارولا مدى انزعاج القرويين، لكنها أعطت الحق لهذا المالك الجديد في إقفال الأبواب... وتابعت العمة:

ـ استمر القصر خالياً لسنوات، ولا يمكن لوم أحد في استخدام أرضه كطريق مختصر نحو الشاطىء. كما أن المالك القديم لم يكن يمانع في ذلك أما الآن وعلى من يرغب في الوصول إلى الشاطىء أن يستخدم الممر القديم.

ـ حيث نما السرخس والنبات البري بنسبة غير عادية، وما تبقى من الممر أصبح منزلقاً بسبب قلة الاستخدام وطبقات الطحلب.

ـ بالضبط.

ـ ألم يتمكن أحد من بحث هذا الأمر مع السيد موريل؟ فقد يعيد النظر في إعادة فتح الأبواب للعموم؟

ـ هاري موريل لا يقابل أحداً. إلا إذا اضطر لهذا... وبناءً لموعد فقط... أما خطر استخدام الطريق القديم فهو من مسؤولية مجلس بلدية القرية، وكما سمعت، لقد ابلغهم السيد موريل أنه لا ينوي السماح باستخدام أملاكه كممر عام.

ـ لا يبدو دمث الأخلاق مطلقاً.

ـ ستعرفين كم هو فظ عندما أخبرك أنه استخدم أكثر من أربعة مربيات لابنته خلال ثلاثة أشهر، كل واحدة منهن كانت تهرب مقسمة على عدم العودة، مهما كانت الاغراءات.

ـ مربيات؟

ـ أجل... فحالة ابنته لا تسمح لها بالانتساب إلى مدرسة... ولقد نشر موريل إعلانات بهدف الحصول على مربية لها، تكون في نفس الوقت مدرسة علوم، وحظي بالعديدات منهن، آخرهن غادرت يوم الثلاثاء، وكما عرفت لم يحظ بغيرها بعد.

دارت فكرة العمل، كمربية ومدرسة علوم في رأس كارولا، فقالت:

ـ أتساءل...

ـ كارولا... أنت لا تفكرين بالتقدم لهذا العمل أليس كذلك؟

رفعت كارولا عينيها لتنظر مباشرة إلى عيني عمتها:

ـ ولمَ لا؟ فأنا عاطلة عن العمل أبحث عن عمل مختلف عن السابق... وعند السيد وظيفة قد تكون تحدياً...

ـ عرفت أنه ظالم. رجل دون قلب.

ـ أنا أفكر بابنته... واضح أنها بحاجة إلى من يرعاها. أتعتقدين

www.elromancia.com

أنني لو كتبت له، سيمنحني فرصة لمقابلته؟

ـ ما من شك في هذا... ولكن...

ـ إذن... سأفعل هذا فوراً.

ولمع بريق المعركة والتحدي في عيني كارولا. مما جعل العجوز تتنهد مستسلمة:

ـ كارولا عزيزتي... فكري جيداً قبل أن تورطي نفسك مع الرجل.

ـ لا ضرر من المغامرة، كما أني لست مضطرة لقبول الوظيفة إذا لم ترق لي... أما القرار فلا يمكن اتخاذه إلا بعد مقابلته.

انطلقت كارولا في الصباح التالي نحو مركز البريد، ومعها رسالتها التي كتبتها بعناية. مستمتعة بشمس الشتاء المعتدلة التي تدفىء بشرتها، وهي سائرة في شارع تتجمع منازله الريفية أمام سطح تلة مليئة بالأشجار. نادراً ما كانت تستخدم سيارتها للتنقل في البلدة الصغيرة التي تخترقها السواقي الشتوية المندفعة من التل المغطى بغابة كثيفة تنتعش فيها حياة الطيور.

يطل خليج مكسيكو من خلف الأشجار الصنوبرية التي تصل حتى الشاطىء، وخلال فصل الصيف يصبح الخليج الصغير للبلدة والذي تحميه تلتان مرتفعتان على جانبيه، جنة للمتزلجين، وراكبي متن الأمواج العالية، والصيادين.

أبراج قصر بكلاند كانت ظاهرة بوضوح عبر الأشجار، ففكرت كارولا بسرعة بالسبب الذي جاء بها إلى قلب القرية... ربما كانت متسرعة في كتابة طلبها هذا لوظيفة مربية في ذلك القصر... لكن هذا العمل سيكون أمراً مختلفاً جداً عن العمل الروتيني الذي سئمت منه. استبدال صفاً من ثلاثين ولداً، بفتاة واحدة قد يكون أكثر صعوبة، وهذا يتوقف على قدرات التلميذة.

منذ مقتل خطيبها دايفد بايتون في جنوب أفريقيا، حيث كان يعمل جندياً مرتزقاً، قبل سنة تقريباً، أصبحت غير مستقرة في عملها، ترغب في التغيير الذي قد يجعلها تنسى الفراغ الذي سببه مقتله... استقالتها لم تكن بالتالي مفاجئة لزملائها... لكنها الآن بعد عودتها من هناك إلى بلدتها الصغيرة أصبحت أكثر استعداداً لتفضيل هذا المركز المعروض أمامها.

هاري موريل... يُخيل إليها إنها تعرف هذا الاسم؟

بعد خروجها من مركز البريد، وقفت لتستمتع بأشعة الشمس من جديد واستنشقت ملء رئتيها الهواء العليل النقي، قبل أن تنطلق عائدة إلى منزل عمتها، لتصل «قاعة الشاي» حيث رائحة البسكويت المخبوز الطازج، كانت في استقبالها عند المدخل.

ورأت رجل قوي البنية واقفاً. يتحدث مع عمتها، لكنهما توقفا عن الحديث لحظة دخولها. قالت لها العمة:

ـ كارولا، أعرفك على الدكتور مارك كيندي... لقد استلم عمله كطبيب هنا، مكان الدكتور درو العجوز.

استدار الطبيب نحو كارولا، واخذت عيناه الرماديتان تتفحصانها بسرور ظاهر:

ـ لقد سمعت الكثير عنك آنسة وارندر... لكن أحداً لم يكلف نفسه عناء القول بأنك جميلة جداً.

احمر وجه كارولا، وضحكت لاخفاء حرجها.

ـ أنت صريح جداً دكتور كيندي؟

ـ لا اؤمن باخفاء مشاعري، إنني معتاد على الصراحة في كل أعمالي وآرائي... أقول ما يجول في خاطري دون تكلف.

ـ إنها ميزة تثير الاعجاب... لكنها ليست حكيمة دائماً.

نظر الدكتور إلى ساعته:

ـ ربما... آنسة وارندر أستميحك عذراً علي القيام ببعض

الزيارات للمرضى، فهل تسمحين لي بزيارتك هذا المساء؟

فابتسمت وردت بأدب:

ـ سأتشوق لرؤيتك مجدداً دكتور كيندي.

بعد انصرافه قالت العمة:

ـ إنه شاب ظريف.

استدارت كارولا تقول لعمتها محذرة:

ـ عمتي ايما... لا تبدأي بممارسة الضغط علي بهدف الزواج منذ أول يوم لي هنا! ثم إنني لست مستعدة بعد لمبادلة العواطف مع مطلق أي رجل.

ـ آن لك أن تنسي دايفد يا عزيزتي، وتجعليه من الماضي. كل امرأة بحاجة لأن تُحِب وتُحَب، وخاصة أنت، لأنك تملكين طبيعة سمحاء دافئة يجب أن تتوجه نحو زوج وأولاد لك. وكلما طال انتظارك، كلما اصبحت أشد حساسية وفي النهاية ستجدين نفسك مركونة على الرف مع العانسات المنعزلات.

فهزت كارولا كتفيها:

ـ ليس لدي رغبة في أن أصبح عانساً عمتي... لكنني...

ـ اقترح عليك إذن أن تفعلي شيئاً... لقد أصبحت في الخامسة والعشرين، وهذا سن مناسب لتكوني زوجة، ولتكوين أسرةً سعيدة فلا يمكنك الانتظار أكثر.

لو أن أحداً غير عمتها حدثها بهذا الأسلوب، لفقدت السيطرة على أعصابها، وهذا أمر نادر الحصول مع عمتها... فضحكت قائلة:

ـ يا للسماء عمتي! هل تتوقعين مني الزواج من أول رجل التقيه؟

هزت العمة رأسها بثبات:

ـ لا يا طفلتي. لكن لا تصدي كل رجل عند رؤيته... أعط

نفسك الفرصة لتتعرفي إليه.

لمعت عيناها الزرقاوان مرحاً:

ـ أتعنين مارك كنيدي؟

ـ رجل في سنه ومركزه تتمناه كل فتاة.

فهزت كارولا رأسها:

ـ يبدو أنك اخترت لي الزوج المناسب.

ـ لا تحرمي امرأة عجوز من أحلامها يا طفلتي.

ـ الأحلام لا تتحقق دائماً يا عمتي... لكنني أعدك أن أكون لطيفة معه، إذا كان هذا يسعدك.

وانحنت من فوق الطاولة تقبل وجنتيها.

ارتدت كارولا ملابسها بعناية ذلك المساء تهيؤاً للزيارة الموعودة، فبدت جميلة أنيقة بلمسة صغيرة من الزينة على وجهها... لقد أنعم الله عليها ببشرة صافية لا تحتاج إلى عناية، ما عدا في أشهر الصيف عندما تتلاعب الشمس ببياض بشرتها.

كانت العمة ايما تحيك الصوف أمام النار، فابتسمت معجبة عندما أطلت كارولا بطلعتها الجميلة.

ـ أنت صورة عن أمك عزيزتي. كنت أظنها أجمل امرأة عندما جاء بها أخي لأول مرة إلى منزلنا للقاء والدي.

ـ كانا سعيدين معاً... أليس كذلك عمتي؟

ـ أجل يا طفلتي. وأنت أكملت عليهما سعادتهما... مع أنهما كانا يضطران لتركك باستمرار بسبب سفرهما المتواصل والذي كان يتعارض مع تعليمك وتوجيهك.

ورحلت بذكرياتها إلى أيام الطفولة. كانت ليالي الشتاء قرب الموقد ممتعة، والعمة ايما تصب ما عندها من قصص مخزونة كانت تسليها.

www.elromancia.com

طرق مارك كيندي الباب الأمامي قاطعاً على كارولا حبل أفكارها. فوقفت على الفور تفتح له الباب. لم يجهد نفسه باخفاء إعجابه... ومع أنها كانت معتادة على كلمات الاعجاب من الرجال، إلا أنها احمرت قليلاً وسحبت يدها من يده، لتتقدمه إلى غرفة الجلوس، حيث رحبت به العمة:

ـ مارك يا فتاي الطيب. تعال واجلس بقربي هنا كي أقيس طول ذراعك.

فرد بحرارة وهما ينضمان إليها قرب النار:

ـ لطف كبير منك سيدة نورد أن تحيكي لي هذه الكنزة. علمت أن ليالي الشتاء هنا باردة، لكن الطقس ما زال معتدلاً بشكل مدهش.

واستمرا بالحديث، لكن كارولا لم تعد تصغي لهما وركزت اهتمامها بما تحيكه عمتها... إذن لقد التقطت عمتها شخصاً هائماً آخر لتعتني به... وتشبع هوايتها في تبني الناس، كباراً كانوا أم صغاراً انها هواية اعتادت عليها كارولا، ومن الطبيعي أن يحظى الدكتور كيندي، الذي يعيش وحيداً دون زوجة، بعطفها الأمومي. خاصة أن في سيماء وجهه نظرة «الولد الصغير الضائع».

رفعت نظرها فجأة لتلاحظه يحدق بها... ابتسم بحياء وقال:

ـ عمتك تدللني منذ وصلت إلى القرية منذ أربعة أشهر.

ـ عمتي ايما مدللة كبيرة... لكنها قد تصبح مستأسدة رهيبة في بعض الأحيان لأنها تؤمن أن من واجبها التأثير على من تهتم بأمره.

فتمتمت العمة دون اهتمام:

ـ هراء! أنا لا أدلل الناس، ولست مستأسدة كذلك. لكن عندما يدفن أحدهم رأسه في الرمال غالباً كالنعامة، فهناك أمر واحد يجب فعله، وهو أن أسحبه له.

فعلق مارك ببراءة:

ـ من المذهل كيف يتصرف الناس هكذا دائماً.

فنظرت العمة إلى كارولا:

ـ أجل... هذا مذهل.

وعادت للحياكة ثانية فأخذت السنارتان ترسلان رسالة أشعلت روح المرح عند كارولا. وقال مارك بعد انفجارها بالضحك:

ـ أقلت شيئاً مضحكاً؟

ـ لا.

وتساءلت في نفسها عن موقفه فيما لو عرف معاني هذه الألغاز وأكملت:

ـ عمتي كانت تقرصني في أذني قليلاً... وسجلت علي علامات مؤكدة.

لم يتظاهر مارك بأنه فهم سبب ضحكها، ولم يضغط ليحصل على تفسير، وهذا ما جعلها تشعر بالارتياح والشكر، وبعد انسحاب العمة طلباً للنوم، قال لها مارك:

ـ أخبرتني عمتك هذا الصباح أنك تفكرين بتقديم طلب للعمل في قصر بكلاند.

ـ الأمر ليس مجرد فكرة، بل نويت فعلاً.

ـ لا أرغب في التدخل كارولا... لكن أتظنين أنه قرار حكيم.

ـ أخبرني مارك... لماذا يصر الجميع على نصحي بأن لا أفعل؟

ـ الجميع؟

ـ نعم... ابتداءً بعمتي، ثم موظفة البريد، والآن أنت.

ـ أنا لا أنصحك بأن لا تفعلي. لكنني أتساءل عما إذا كنت تدركين أن حصولك على الوظيفة يعني الاقامة في القصر.

ـ وما الأمر الفظيع في هذا؟

فاحمر وجهه قليلا:

ـ ستعيشين لوحدك، دون مرافقة، مع هاري موريل وابنته روزي.

www.elromancia.com

ـ أنا لست ممن يمزج العمل بالمرح يا مارك. وأنا متأكدة أن السيد موريل أيضاً لا يبحث عن علاقة حب بعد موت زوجته خاصة وأنه لم يمض على وفاتها زمناً، ليسمح لنفسه بذلك.

فقال بهدوء:

ـ أنت امرأة جميلة يا كارولا... جميلة لدرجة تغيرين بها رأي اعتد العزاب.

هل يشير بكلامه هذا إلى نفسه؟ وتسارعت دقات قلبها قليلاً فحاولت تغيير الموضوع بسؤاله:

ـ هل قابلت السيد موريل؟

ـ لوقت قصير عندما استدعاني لفحص ابنته.

ـ كيف يبدو؟

صمت الطبيب مفكراً ثم رد بهدوء:

ـ أظن من الأفضل أن أدعك تعرفين بنفسك... وستتبادل الملاحظات عنه فيما بعد.

ـ لست متأكدة أنه سيعتبر طلبي مهماً.

ـ مما عرفته، أنه يائس من إمكانية تركيز الدروس في ذهن ابنته، ولن ينجح كثيراً في ذلك إلا إذا غير من تصرفاته مع الطفلة.

ـ تصرفاته؟

ـ روزي غير مسموح لها بحرية الانخراط واللعب مع الأولاد، فأصبحت مكبوتة منزوية. وتعليمات والدها حول تربيتها هي السبب الحقيقي للخلاف القائم بينه وبين المربيات السابقات... اسمعي... دعينا نتكلم عن أنفسنا قليلاً وننسى مشاكل قصر بكلاند. هناك مطعم صغير جميل عند الخليج يقدم أفضل الأسماك في المنطقة، ما رأيك فيما لو دعوتك على العشاء مساء في الأسبوع القادم؟

امسك بيديها، يضغط بلطف محاولاً اقناعها، وهي تحدق به مفكرة، غير قادرة على نزع صورة السيد موريل، والحديث عنه من

أفكارها.

ـ انني سعيدة بدعوتك كثيراً، مارك.

عندما رافقته إلى الباب، التفتت دون شعور إلى ناحية القصر... ماذا يجري حقاً خلف هذه الجدارن الحجرية؟ هل الأب والابنة لا يزالان يعانيان من آثار الحادثة التي دمرت حياتهما، أم أن هناك تفسير آخر لتصرفاتهما؟

اختفت أنوار سيارته الخلفية، فتنهدت كارولا... قد يكون مارك صديقاً محترماً، وأملها أن لا يطلب أكثر من الصداقة. فهي لا تستطيع تصور نفسها زوجة لطبيب بالرغم مما تفكر به عمتها. ثم، يجب أن يكون الرجل الذي سيعيد إيقاظ قلبها، بعد الحب الذي عرفه لدايفد باتون، شخصاً مميزاً.

أصبح الوقت الآن متأخراً لسحب طلبها، ولا شيء يمكن أن تفعله سوى الانتظار... لا يستطيع أحد اجبارها على القبول بوظيفة لا تعجبها، ولديها مطلق الحرية برفضها.

هذه الفكرة اراحت نفسها، وهي تطفىء الأنوار وتتجه إلى غرفتها لكنها حلمت بالقصر تلك الليلة. لساكنيه صور مظلمة مظللة بقيت دون وجه... ولدقائق لا متناهية، استلقت في الظلمة تحاول تركيز تفكيرها في أمور أكثر استساغة. إلى أن عادت إلى نوم دون أحلام.

● ● ●

www.elromancia.com

٢ ـ لا تنظري خلفك!

استدعاؤها للذهاب إلى القصر وصلها بيد مبعوث خاص بعد الغداء في اليوم التالي. وأعادت كارولا قراءة المذكرة لتقنع نفسها بالمحتويات الموجزة، إذ بدأت بلهجة صارمة وخط واضح:

«الآنسة وارندر العزيزة:

أتوقع حضورك عند الساعة السابعة من هذا المساء... حاملة معك الوثائق اللازمة المتعلقة بالوظيفة موضوع الطلب.

هـ. موريل.»

في رسالته حدد موريل، موعد المقابلة، دون أن يسألها إذا كان الموعد مناسباً لها واستنبطت بأن هذا أمر وعليها إطاعته وتنفيذه... فاندفعت كارولا إلى الردهة متوجهة إلى الهاتف، وفي نيتها الاتصال بهاري موريل لتقول رأيها به بالوظيفة بكل صراحة... فجأة أجبرتها روحها المرحة على إنقاذ الموقف. فتخلت عن الفكرة أمام رغبتها في المضي بمشوارها الجديد بغض النظر عن الانطباع الذي تملكها في هذه اللحظة.

تسللت أنوار سيارتها عبر الظلمة، لتسطع على اللوحة النحاسية التي تحمل اسم «قصر بكلاند» وكانت الأبواب الحديدية الضخمة أمامها... مقفلة.

توقفت أمامها سائلة نفسها:

ـ ماذا الآن؟ هل أخرج لأفتحها بنفسي، أم من المفترض أن أضغط على الزمور إلى أن يحضر أحدهم لفتحها؟

ما ان توقفت سيارتها على بعد متر واحد من الأبواب، حتى شهقت وحدقت بذهول. الأبواب الثقيلة تتحرك بكل نعومة ودون صوت لتنفتح على مصراعيها سامحة لها بالدخول، وكأنها فكا حيوان هائل ينتظر ابتلاع فريسته.

أحست بشعور غريب انها قد علقت في فخ. لكنها نفضت الأفكار السوداء عنها، وتابعت الطريق الملتوية من خلال الأشجار المرتفعة إلى القصر المبني منذ عشرات السنين على الطريقة الانكليزية.

كانت ساقا كارولا ترتجفان عندما صعدت درجات السلم العريض إلى الشرفة الأمامية... الأنوار كانت تشع من غرفة الجلوس خلف ستائر حاجبة... تلك الليلة كانت ليلة مظلمة، فالغيوم تجمعت منذ بعد الظهر تنذر بهطول المطر. لم تخف يوماً من الظلام، إلا أن الصمت المرعب المحيط بها جعلها ترتعش... استجمعت قواها ورفعت المقبض النحاسي فوق الباب لتقرعه مرتين.

فتح الباب على الفور، واستقبلها رجل يرتدي بزة رسمية، ليسألها بكل أدب عن اسمها، ثم قادها إلى ردهة ضخمة باهتة الاضاءة... لقد مضى الآن ستتان على زيارتها الأخيرة للقصر، فلم يتسنى لها الوقت الكافي للنظر فيما يحيط بها والخادم المتصلب الظهر يقودها إلى غرفة جلوس مضاءة. وأشار إلى باب في الناحية الأخرى من الغرفة قائلاً:

ـ السيد في مكتبته... بإمكانك سيدتي الدخول.

أمرها صوت عميق أجش بالدخول بعد أن دقت الباب، فأدارت

www.elromancia.com

المقبض النحاسي اللامع، وخطت إلى الداخل بساقين مرتجفتين. بدخولها من غرفة الجلوس الساطعة الأنوار، إلى المكتبة التي لا ينيرها سوى مصباح فوق الطاولة، أصيبت بعمى مؤقت في نظرها وارتبكت أكثر لسماعها صوت رجل يقول:

ـ يا إلهي... أنت هيلين بنفسها!

سارعت ترد مرتجفة:

ـ أنا... استميحك عذراً؟

ـ سيدة طروادة، التي جرّت بوجهها الملائكي خلفها ألف سفينة... تفضلي بالجلوس آنسة وارندر.

فجلست منصاعة للأمر إلا أن الرجل بقي واقفاً مديراً ظهره إلى النور، مما سمح له، وبدون وجه حق، في رؤيتها بوضوح، ولم تر من هذا الرجل سوى رأس مرتفع بكبرياء وجسد نحيل قوي، فالظلمة أبقت قسمات وجهه مخفية عنها.

ـ من أين أنت؟

ـ أنا كارولا وارندر أميركية المولد، بلدتي لونغ فيلد، عشت فيها منذ بلغت الثانية عشرة من عمري وهاجرت إلى أفريقية الجنوبية وعملت فيها مدرسة لمدة خمس سنوات.

ـ وما الذي جعلك تتقدمين لهذه الوظيفة؟

ـ أنا بحاجة لها... وأنت تعرف ذلك سيد موريل.

ـ لكنني لم أنشر إعلاناً عنها في الصحيفة المحلية.

ـ لا... أخبرتني عمتي بأنك... قد تكون محتاجاً لمعلمة.

ـ عمتك؟

ـ ايما نورد... إنها تملك «قاعة الشاي» الوحيدة في القرية.

ـ هاه... هل أحضرت معك أوراقك الرسمية؟

ـ أجل...

وأعطته المغلف، رافعة بصرها إليه، فتقدم نحوها ليصبح في دائرة الضوء، فوجدت نفسها تنظر إلى ندبة جرح بشعة تمتد من صدغه إلى فكه في الجهة اليمنى من الوجه... فتقلصت عضلات معدتها لكن التحدي في عينيه أعادها إلى صوابها... فقالت:

ـ أظنك ستجد في هذا المغلف كل ما هو مطلوب، دقيقاً ومرتباً.

لمعت عيناه سخرية، وبقيت تنظر إليه بهدوء وصمت. لكن قوة نظرته المتفحصة والثابتة عليها حولتها إلى كتلة من الأعصاب المتوترة المرتجفة لدرجة أنها أخفت ذلك الجرح الذي يشوه خده.

كما أن أصابع اليد التي قلبت أوراقها الخاصة بانت لها رغم نعومتها وقصرها، جميلة وقوية أضف لذلك جمال شعره الأسود القاتم، وجبهته العريضة. له حاجبان كثيفان منعقدان بتقطيبة لا تنم عن شخصية واعدة إطلاقاً.

أخيراً قال وهو يعيد لها أوراقها:

ـ من الملاحظ أنه ليس لديك خبرة في التعليم الافرادي الخاص.

ـ لا... إنها التجربة الأولى ولكن في مضمار التعليم إن علّمت واحداً أو ثلاثين، يبقى الأساس واحداً.

ـ ليس تماماً آنسة وارندر، فالوظيفة المعروضة هي العمل كمربية. وهذا يعني أن تعملي ليل نهار. فهل باستطاعتك ممارسة هذا النوع من العمل؟

ـ لست أرى سبباً يمنع... فأنا مولعة جداً بالأولاد.

ـ لكنك صغيرة السن آنسة وارندر.

ـ أنا في الخامسة والعشرين.

ـ صغيرة... صغيرة جداً على هذا النوع المعروض من العمل.

أحست كارولا بالاحباط:

ـ وهل يعني هذا رفضك لطلبي سيد موريل؟

www.elromancia.com

ساد صمت متوتر، واجها خلاله بعضهما، منتظرة بقلق شديد جواباً على سؤالها.

ـ لا استطيع رفض طلبك (وفرقع باصابعه) لكن يجب أن أعترف أن امرأة أكبر سناً ستكون مناسبة أكثر، فأنا أعيش هنا وحيداً مع ابنتي، آنسة وارندر، والوظيفة تفرض عليك السكن معنا. فوجود امرأة مسنة في منزلي منطقي ولا يثير تساؤل، لكن وجود شابة مثلك قد يثير الشبهات.

ـ أدرك هذا سيد موريل.

ـ لا يبدو أن هذا يزعجك كثيراً.

ـ لا... لا يزعجني.

ـ لماذا استقلت من عملك السابق؟

ـ أردت التغيير، وكذلك الابتعاد عن جنوبي أفريقيا.

ـ وهل لرجل علاقة بهذا القرار؟

ـ أجل... بطريقة غير مباشرة.

قررت على الفور أن رداً بسيطاً بالقبول أو الرفض هو الأفضل لانهاء هذه المقابلة... فقالت:

ـ سيد موريل... أنا...

فقاطعها بطريقة فجائية وترت أعصابها:

ـ هل اقترحت عليك عمتك العمل عندي؟

ـ لا... بل نصحتني بالابتعاد عن ذلك.

فالتوت أطراف فمه:

ـ صراحتك جديرة بالثناء.

ـ هل سأحصل على الوظيفة؟

ـ آنسة وارندر... إن الظروف التي أحاطت بابنتي منعتها من التحصيل والتقدم خاصة خلال الأشهر السابقة، ونظراً لهذه الظروف

لا يسعني إلا القبول لأنني لم أعد استطيع تحمل الانتظار، فوضع ابنتي التعليمي لا يحتمل التأخير أكثر من ذلك.

ـ أيعني هذا...؟

ـ يعني أنك حصلت على الوظيفة، هذا إذا كنت لا زلت تريدينها بعد شرح التفاصيل لك.

ـ شكراً لك.

وتنهدت تسترخي في مقعدها، شاعرة بنوع من الرضى لم تستطع تفسيره... لكنه قال ساخراً:

ـ لا تشكريني بعد آنسة وارندر... فروزي طفلة متوترة حساسة جداً. منذ وقوع الحادث الذي قتل زوجتي وابني وهي تعاني من كوابيس مزعجة ليلاً، حتى أنها أصبحت مكبوتة كئيبة، وتحتاج إلى الكثير من العناية. وهذا شيء لا استطيع توفيره لها شخصياً في هذا الوقت... بسبب هذا نصحني الأطباء بتعليمها في المنزل إلى أن تتمكن من الذهاب إلى المدرسة وآمل أن يتم هذا في نهاية السنة. فالأمر يعتمد على مدى تقدم حالتها.

ـ كم عمرها سيد موريل؟

ـ ستكون في الثامنة منتصف كانون الثاني من العام المقبل. أرجو أن يكون الراتب الذي سأدفعه لك مرضياً. إذا كنت مستعدة لتحمل النتائج، والعناية بطفلة معقدة، فمتى أتوقع انتقالك للسكن في قصر بكلاند؟

لعقت شفتيها بتوتر وأجابت:

ـ في أي وقت يناسبك.

ـ غداً بعد الغداء؟

همست ترد بالإيجاب وقد انقطعت أنفاسها للسرعة التي تمت فيها الأمور:

www.elromancia.com

ـ أجل.

ـ جيد... من الآن ولنهاية الأسبوع سيكون لديك الوقت الكافي للتعرف على روزي قبل البدء بتدريسها وتعليمها.

ساعدها في ارتداء معطفها، وخرجت مستعجلة راغبة في مغادرة القصر والابتعاد عن هذا الرجل المثير للاضطراب... وبدا السيد موريل مدركاً سبب تأهبها السريع وتوترها لأنه رفع حاجبيه بسخرية وقال:

ـ تعرفين طريق الخروج؟

فهمست:

ـ أجل... عمت مساءً سيد موريل.

المطر الخفيف كان ينهمر في الخارج، رذاذه الناعم كان بارداً يصفع وجهها المتورد، وهي تدخل السيارة. لم تجرؤ على النظر خلفها لكن كل عصب فيها كان يحس بأنه واقف في مكان ما يراقبها... انفتحت الأبواب الحديدية دون صوت عند اقترابها منها، فتنهدت بارتياح لمرورها منها واستدارت يساراً نحو منزل عمتها.

عند وصولها سألتها العمة:

ـ حسناً؟

ـ الماثلة أمامك هي المربية الجديدة في «قصر بكلاند».

ـ لا تكوني ثرثارة... اجلسي واخبريني ما حدث.

ـ لم يحدث شيء مميز... كان السيد موريل يفضل امرأة أكبر سناً للوظيفة، لأنها تتطلب السكن هناك... لكن... لا أظنه قادراً على الاختيار في هذا الوقت.

ـ كارولا... أرجوك أن تقولي إنك لم تقبلي الوظيفة.

ـ لكنني قبلتها عمي ايما... ويتوقعون وصولي إلى القصر بعد غداء الغد.

حدقت بها عمتها مرعوبة، مذعورة وأطراف فمها ترتجف دليل القلق العميق.

ـ وهل فكرت بالنتائج؟

ـ أجل عمتي ايما. السيد موريل وابنته وأنا سنكون لوحدنا بعد أن يستريح الخدم في غرفهم... والألسنة المعتادة على القيل والقال في القرية سوف تبدأ بالهمس والتساؤل عما يجري في الليالي المقمرة بين صاحب القصر الجديد وموظفته الشابة.

وضحكت بسخرية غير معتادة عليها وأكملت:

ـ استطيع أن أتخيل اسئلتهم: «هل يتغازلان بين شجيرات العليق، أم أنه قيدها بالسلاسل ليفترسها في القبو؟».

ـ هذا أمر لا مزاح فيه.

ـ لست أمزح. فالناس آثمون في تفكيرهم عندما يريدون.

تمسكت يدا العجوز بمسندي مقعدها، وعلى أساريرها دلائل عدم الموافقة العنيدة:

ـ كارولا... أمنعك من قبول الوظيفة.

ـ لن تستطيعي منعي عمتي. فأنا كبيرة بما يكفي لاتخاذ قراراتي بنفسي. وإذا أراد الناس التكلم عني فليفعلوا. فبالنسبة لي هذه الوظيفة كغيرها، وضميري مرتاح... لذا سأكون في القصر غداً لأعلم روزي موريل... وهذا كل شيء.

بالرغم من جهدها لم تستطع العمة ايما اخفاء لمعان الاعجاب من عينيها وهي تقول:

ـ أرجو أن تكوني واعية لنتائج فعلتك هذه.

ـ وعياً تاماً.

ـ لا أدعي أنني سعيدة، لكنني سأقف إلى جانبك مهما حدث... فأنا أثق باستقامتك، لكنني لا أثق بذلك الرجل.

www.elromancia.com

لاح وجه هاري موريل البشع أمام عينيّ كارولا، فأخذت ترفرف عينيها بسرعة لتمحو صورته. لقد وجدته مثيراً للاضطراب، وأكثر من مخيف بقليل. لكن، من الصعب الحكم على أخلاقه بعد لقاء قصير.

الحكمة في قرارها أمر يمكن الجدل فيه، لكنها كانت تسعى وراء التحدي. ساعية وراء ذلك «الشيء المختلف» عن التدريس العادي الذي هربت منه. قطع رنين الهاتف أفكارها، فوقفت ترد، بينما دخلت العمة إلى المطبخ لصنع الشاي... وكان المتحدث مارك كيندي الذي قال بعد التحيات:

ـ سأكون متفرغاً كلياً لك فما رأيك بنزهة في السيارة معي؟

عضت على شفتها معربة عن خيبة أمل. وقالت معتذرة:

ـ آسفة مارك، لن استطيع. عليّ الذهاب إلى العمل في قصر بكلاند بعد ظهر الغد.

ـ أيعني هذا أنه عينك في الوظيفة فعلاً؟

ـ أجل.

ـ هل تدركين مدى تورطك؟

ـ أعرف بالضبط ما سأفعل مارك.

ـ كنت في القصر لمعاينة روزي... كانت في حالة هستيرية عندما وصلت، واضطررت لاعطائها قليلاً من المخدر لأن الكوابيس التي تنتابها ليلاً ترهق اعصابها كثيراً.

ـ أتظن أن لي علاقة بما حصل معها هذا المساء. لا بد أن والدها أخبرها أنني قادمة في الغد. أتظن أن فكرة وجود مربية جديدة غريبة عنها هي التي سببت لها الانهيار؟

ـ هذا ممكن.

ـ اوه... يا إلهي!

ـ ستواجهك مشاكل كثيرة كارولا. فإذا احتجت لمساعدة أو

نصيحة لا تترددي في طلبها مني. تعلمين أنني أكون مسروراً للمساعدة.

عرضه بالنصيحة والمساعدة أعطاها الثقة، فقالت:

ـ شكراً لك... أنت لطيف جداً.

فضحك:

ـ لا تشكريني... دعيني أعرف أوقات فراغك لأرتب مواعيدي. بالمناسبة هل تذكرين دعوتي لك على العشاء؟

ـ أذكر... لكن يجب أن نؤجلها قليلاً، وسأتصل بك حال استقرار الوضع الجديد.

نظرة العمة ايما كانت فضولية وهي تدخل صينية الشاي وتضعها على الطاولة المنخفضة. لكن كارولا شاحت بعينيها بعيداً كي لا تلتقي نظرتها بنظرة عمتها المتفرسة.

شربتا الشاي بصمت... صوت تكتكات الساعة ساهم في توتير الجو الذي طالما كان دافئاً بينهما... وأخيرا قالت العمة:

ـ لم يفت الوقت بعد لتغيري رأيك.

ـ وماذا سيظن السيد موريل بي إذا تراجعت الآن؟

ـ أيهمك ما يظنه بك؟

ـ وهل من السهل مواجهة نفسي مستقبلاً بعد أن جبنت أمام أول تحدي في الحياة؟ لا أظن هذا عمتي. لن استسلم لخوفي قبل أن أحاول.

ـ لم تستطيعي يوماً مقاومة أي تحدي، أنت في هذا تشبهين أباك. لكم خفت من أن ترثي منه حبه للتجوال. وظننتك لخمس سنوات مضت أنك قد استقريت في أفريقيا... لكن بعد عودتك لم أعد واثقة من ذلك. ما أنت بحاجة إليه هو الاستقرار مع زوج وتأسيس عائلة.

www.elromancia.com

فابتسمت كارولا تحدق حالمة بالنار:

ـ لم أخلق للزواج... ليس بعد وفي هذه المرحلة بالذات على الأقل. لقد نشأت على الحرية، وأحب أن أتمتع بها لفترة أطول.

عندما اطفئتا الأنوار كي تخلدا إلى النوم، لم تكن كارولا تحس سوى بالقليل من الارتباك حول مستقبلها. وستكتشف روزي موريل عما قريب أن لا حاجة للخوف من مربيتها الجديدة. لكن، ولسبب مجهول، كانت تحس أن هاري موريل سيكون أقل تعاوناً معها من ابنته. فله قلب من فولاذ أحست به منذ اللحظة الأولى وخشونة ساخرة جعلت من الصعب عليها تخيله كأب لطفلة صغيرة حساسة.

لكن، من غير المجدي التفكير بكل هذا في الوقت الحاضر... مدت يدها لتطفىء النور وتتسلل إلى الفراش... فمن المستحيل محاولة التفكير بمشاكل دون معرفة الوقائع الحقيقية.

وستعرف تلك الوقائع بالتأكيد، بعد ظهر الغد.

● ● ●

٣ ـ لا أحلام معه

كانت السماء ملبدة بالغيوم والطقس بارداً عندما وصلت كارولا إلى «قصر بكلاند» في اليوم التالي. هدير البحر الهائج حمل معه الهواء القوي الذي كان يلوح تنورتها ليلصقها فوق ساقيها... فصعدت مسرعة فوق السلم العريض واتجهت نحو الباب وضربت المقبض النحاسي. استقبلها الرجل نفسه صاحب البزة الرسمية، وسألها بأدب عن مفاتيح سيارتها. ثم قال لها:

ـ السيد في المكتبة.

الرسالة واضحة، السيد موريل ينتظر وصولها، فأحست كأنها الفراشة المدعوة لدخول شباك العنكبوت.

ـ إذن لقد وصلت آنسة وارندر.

وقف هاري موريل خلف طاولته الأبنوسية السوداء ثم تقدم نحوها مصافحاً. يده غمرت يدها لفترة صغيرة ثم أشار إليها بالجلوس.

ـ بصراحة، شككت في إمكانية عودتك، توقعت مكالمة هاتفية منك تنبئني بتغيير رأيك.

ـ لا اتخذ عادة قرارات فورية كي اتراجع عنها في آخر لحظة.

ـ تعنين أن قرارك هذا كان مستعجلاً وان كبريائك يمنعك من التراجع؟

ـ لا أعني شيئاً من هذا!

www.elromancia.com

ـ لكن الشك ساورني في حكمة قرارك.

ـ الشك رد فعل طبيعي، أليس كذلك؟

ـ طبيعي ومنطقي عندما تفكرين بما تورطين نفسك به.

التوت شفتاه المستقيمتان فيما يشبه ابتسامة لم تصل مطلقاً إلى عينيه. حدقت به كارولا فترة أطول مما يجب حتى أحست بنبضات غريبة في عنقها، فمالت بنظرها عنه قائلة:

ـ سيد موريل، لدي إحساس غريب أنك تحاول دفعي إلى تغيير رأيي.

أعجبه تعليقها فابتسم ابتسامة عريضة أظهرت أسنانه البيضاء اللامعة واضحة في تقاسيم وجهه السمراء وكان متكئاً على طاولته مكتفاً ذراعيه على صدره.

ـ ربما.

ـ لماذا؟

ـ لأنك صغيرة السن. وستكونين عرضة للأذى لأن سيرتك ستصبح على لسان النمامين في القرية.

ـ لكنك لم تكن مهتماً لهذا الأمر ليلة أمس.

أمسك بعلبة السجائر. مد يده مقدماً لها واحدة، لكنها رفضت، أشعل سيكارة لنفسه وقال:

ـ لا... لكنني كنت أشك في صحة قراري. فأنا لم أبلغ بعد سن الشيخوخة، لا زلت في الخامسة والثلاثين، وهو سن صغير يكفي لأن أعجب بامرأة جميلة... امرأة لها جمال كلاسيكي مثل جمالك... هل تفهمين ما أحاول قوله؟

واشتد احمرار وجنتيها قلقاً:

ـ أجل... والقرية ستظن بنا الأسوأ.

ـ بالضبط.

تحرك مبتعداً عنها ليقف أمام النافذة يحدق إلى الخارج، فأحست كارولا وكأن يداً تضغط على قلبها، فسألته:

ـ هل يزعجك هذا؟

فتقدم ثانية ليقف أمام كرسيها:

ـ لقد قيل الكثير عني في الماضي، آنسة وارندر... فما الفرق في زيادة اتهام أو اتهامين إلى اللائحة السوداء الطويلة التي اكتسبتها؟

ـ إذن فالمسألة قد سويت، أليس كذلك؟

ـ فلتتحملي أنت وحدك وزرها. واذكري أنني حذرتك.

وساد صمت بينهما قطعه طرق خفيف على الباب.

ـ ادخل.

فدخلت امرأة شابة مبهرجة، شعرها الأسود الناعم ينسدل مغطياً ظهرها، ترتدي مريلة شديدة النظافة، ناصعة البياض... اتجهت عيناها اللوزيتان نحو كارولا محدقة بها للحظات قبل أن تستدير بغنج نحو السيد الواقف مقطباً جبينه، عابساً فيها:

ـ آسفة سيد موريل. الآنسة روزي ليست في غرفتها.

حبست كارولا أنفاسها دون وعي منها بينما قال هاري:

ـ أين هي إذن بحق الله؟

ـ لست أدري سيدي. فتشت عنها في كل الغرف. جاكسون وسالي مشغولان الآن بالتفتيش عنها في الحديقة.

ـ هل فتشتم البرج؟

ـ أجل سيدي. تركتها منذ عشر دقائق تلعب في غرفتها، وعندما عدت، لم أجدها.

ـ أتساءل بمن تظن هذه الطفلة أنها تلعب... إنها تعرف أنني سآخذك لمقابلتها.

ـ ربما هذا هو سبب اختفاؤها... فالأطفال ميالون للقلق

www.elromancia.com

والخجل للقاء الغرباء.

ـ إنها تتعمد عصيان أوامري... شيلا، اذهبي وساعدي في التفتيش خارجاً بينما أفتش المنزل مرة أخرى.

هزت شيلا رأسها وغادرت الغرفة بقلق أمومي... فالتفتت كارولا لتقول بسرعة:

ـ سيد موريل. أرجوك أن لا تكون قاسياً مع روزي... سيجعلها هذا تكرهني أكثر حتى قبل مقابلتي.

لكن القساوة ظهرت جلياً في حركات فمه المشدودة فرد بحدة:

ـ إنها تستحق العقاب.

ـ أطلب منك العفو هذه المرة فقط... أرجوك سيد موريل؟

توقعت رداً حاداً، إلا أن قسمات وجهه دلت على الهدوء والسكينة.

ـ يبدو أن روزي قد وجدت فيك بطلاً يدافع عنها آنسة وارندر.

تغافلت عن سخريته لتجيب:

ـ معاقبتها الآن ستسيء إلى علاقتنا، وستجعل من مهمتي أكثر صعوبة. لا بد أنك تدرك هذا؟

ـ حسناً آنسة وارندر. هذه المرة فقط سأتجاهل تصرفها. لكن إذا استمر عصيانها فلن أتردد في معاقبتها كما تستحق.

تنفست كارولا الصعداء بحذر مدركة كم كانت متوترة بانتظار رده...

ـ شكراً.

انفتح الباب فجأة، ودخلت شيلا تجر طفلة صغيرة الجسم من يدها:

ـ وجدناها مختبئة في سقيفة الحديقة القديمة سيدي.

ـ شكراً لك شيلا... بإمكانك الذهاب.

قفز قلب كارولا بالشفقة على الطفلة التي استندت إلى الجدار.

ـ تعالي إلى هنا روزي...

ارتجفت شفتها الزهرية اللون، لكنها أطاعت، لتقف أمام والدها رأسها منخفض:

ـ أريدك أن تقابلي مربيتك الجديدة. الآنسة وارندر... هذه ي روزالي... قولي لها «كيف حالك» روزي!

ودفعها بيده إلى الأمام... فتلعثمت الصغيرة في التحية رسمية، مما سبب اختناقاً في حنجرة كارولا وهي تمسك اليد صغيرة الممدودة إليها لتحس بارتجافها. وتحدثت بنعومة:

ـ مرحباً روزي. كنت متشوقة للقاءك.

سألت روزي بصوت رفيع متوتر:

ـ هل أستطيع الذهاب إلى غرفتي الآن؟

فرفع أصبعه محذراً:

ـ أجل يمكنك الذهاب، ولا تعاودي الخداع... فهمت؟

هزت الطفلة رأسها، ثم التفتت من فوق كتفها، وغادرت المكتبة بسرعة. التفت هاري موريل إلى كارولا وهو يتقدم إلى الباب:

ـ كنت سأبحث معك تفاصيل عملك، لكنني أظن من الأفضل أن ترتاح جناحك لاتركك تستقرين أولاً... حديثنا سيتأخر إلى ما بعد العشاء.

كانت تحس بقوة وجوده قربها وهما يصعدان السلم العريض المعتم المتجه إلى الطابق الأعلى. صمته العميق أصابها بتوتر عصبي، كما أن لمسة يده على ظهرها ليدلها على الطريق زادت من إحساسها بالتوتر والقلق، فقد كانت تحس بها كتيار كهربائي.

لحقت به عبر الممر المعتم أيضاً إلى أن توقف فجأة وفتح باباً، ثم تنحى جانباً ليسمح لها بالدخول، فدخلت وهي قريبة جداً منه،

مما أدى إلى ملامسته، فشمت رائحة التبغ وكريم الحلاقة، مزيج من الرائحة، استساغته أحاسيسها، فاستجمعت نفسها بحدة، ونظرت حولها لتجد نفسها في غرفة جلوس صغيرة مفروشة بأثاث مريح، كانت جزءاً من جناح ستعيش فيه خلال إقامتها في القصر.

بدا لها أن وجوده يسيطر كلياً على الغرفة وعلى أحاسيسها معاً، وهو يشير إلى غرفتها. سوف تستكشفها فيما بعد، بعد تخلصها من تلك العينين المسببتين لها بالاضطراب الذي لازمها في تلك اللحظات وسمعته يقول:

ـ هذه غرفة روزي. وأرجو أن تجدي كل شيء حسب رضاك.

لكنها كانت واثقة أنه لا يهتم كثيراً برضاها، فوجهه الخالي من التعبير كان يشير إلى أن أفكاره كانت في مكان آخر، وليس معها إطلاقاً... وتابع القول:

ـ على فكرة... العشاء في السادسة والنصف تماماً. وستدلك روزي على الطريق إلى غرفة الطعام.

أقفل الباب خلفه مغادراً قبل أن تفكر بالرد. فأصبحت فجأة لوحدها في محيط غير مألوف، مع طفلة تقبع في غرفة متصلة بغرفتها، ليس لديها أي اهتمام بمربيتها الجديدة، والتي يجب أن تكسب ثقتها بحذر كبير.

ترددت قليلاً أمام المرآة وقد راعها منظرها. شعرها الأشقر الفضي اللماع الذي طالما كان مثار التعليق والاعجاب للونه الغير عادي، كان مبعثراً حول كتفيها. حدقت بعينيها الزرقاوين في صورتها فلم تعجبها، وابتسمت ابتسامة ملؤها القلق.

تركت باب غرفة نومها مفتوحاً، آملة أن تظهر روزي فضولها الذي أظهرته من قبل... ولم يطل الوقت حتى أدركت أن تخمينها صائب. ولاحظت أنها مراقبة بحذر من وراء الباب فتظاهرت انها لا

تحس بالرقابة، وتابعت عملها في تفريغ الحقائب. فضول روزي ظاهرة صحية، وعليها أن تجد طريقة لاخراج روزي من قوقعتها.

أخرجت علبة مجوهرات موسيقية صغيرة، وأمسكتها بيديها تتلمس الحفر اليدوي المطعم بالعاج... كانت العلبة لأمها، ذكرى إحدى رحلاتها إلى الشرق... وأصبح الطيف المراقب جامداً كالتمثال في تحديقه بالعلبة الغريبة. فابتسمت كارولا لنفسها وفتحت الغطاء وبدأت الموسيقى الشرقية تملأ الغرفة.

شهقت روزي شهقة صغيرة مسموعة، لكن كارولا تظاهرت بأنها لم تسمع، تاركة الموسيقى تعزف إلى أن انتهت... فامتدت أصابعها إلى المفتاح، لكنها لم تعبىء العلبة ثانية، تتمنى من الطفلة بصمت أن تظهر نفسها، لكن عندما ظهر فشل الاغراء، تنهدت ،،وضعت العلبة على طاولة الزينة.

دخلت كارولا إلى الحمام تغتسل، وهي تفكر بأن تزور الفتاة في غرفتها. سرحت شعرها بعناية ليستعيد بعض لمعانه، ثم لمسة أحمر شفاه، فرضيت عن مظهرها، وتركت غرفتها متجهة نحو غرفة الفتاة عبر فسحة ممر صغيرة.

كانت روزي في فراشها وكتاب صور على ركبتها، لكن ما إن قرعت كارولا ودخلت حتى رمت الطفلة الكتاب وخرجت من الفراش متوترة:

ـ مرحباً روزي، أرجو أن لا تعترضي على زيارتي لك، لكنني شعرت بالوحدة دون أحد أكلمه.

أشارت كارولا إلى الفتاة لتعود إلى الفراش لكنها بقيت واقفة متصلبة قرب السرير. فجلست كارولا على حافة السرير والطفلة تنظر إليها باستغراب. وسألتها كارولا بعفوية:

ـ هل كنت تقرأين هذا؟... أتحبين الكلاب؟

بقيت العينان البنيتان حذرتان مرتابتان، مع أن رأسها اهتز تجا
فتابعت كارولا:

ـ كان عندي كلب صغير، كنت أسميه «الأرقط» إذ كان له
بنية وقوائم بيضاء كالطماق. أتعرفين ما هو الطماق؟

هزت الفتاة رأسها نفياً، فتابعت:

ـ منذ زمن، كان الزي الشائع أن يرتدي الرجال قماشاً أبي
تغطي سيقانهم وتدعى الطماقات.

لم يبدو من الفتاة أي تجاوب... فحاولت كارولا مجدداً:

ـ هل لديك أصدقاء تلعبين معهم؟

ـ أبي لا يسمح لي بالأصدقاء.

ـ ولماذا لا، روزي؟ أتحبين المدرسة؟

ـ لا.

ـ يمكنك المرح هناك إذا أردت.

لم ترد روزي بل أحنت رأسها تنظر إلى أصبع قدمها وهي تد
فوق السجادة.

بدأت الريح في الخارج تقوى، وحملت معها أصوات المو
الغاضب من البحر. فسألتها:

ـ أتسمعين صوت البحر المرتفع فوق صوت الريح؟ عندما كن
صغيرة كنت أحب السير على الشاطىء خاصة في فصل الشتاء، حي
لا يمكنني التمتع بالسباحة؟

لكن روزي لم تقل شيئاً، كان فيها شبه غريب من أبيها خام
حين ترفع رأسها... وتابعت كارولا:

ـ هناك على الشاطىء يوجد كهف بين الصخور، لم يكتشفه أح
بعد، فهو مكاني السري الخاص كنت اختبىء فيه عندما كنت أر
البقاء لوحدي... إذا أحببت ساخذك إلى هناك يوماً عندما يتحس
الطقس.

لم يبدو على الصغيرة الاهتمام باقتراحها، فوقفت كارولا محبه
لتعود إلى غرفتها.

ـ سأتركك الآن لتتابعي قراءتك.

عند الباب تذكرت ما قاله لها والد الفتاة فالتفتت تقول:

ـ انتظريني وقت النزول إلى العشاء. فلست واثقة أنني سأتمك
من إيجاد طريقي. هل تنتظريني؟

فردت الفتاة بعد تردد بالايجاب، فابتسمت لها:

ـ شكراً لك روزي. سأراك فيما بعد.

ولكي تبدو بمظهر رسمي سعت كارولا إلى ارتداء تنورة وبلو
جديدتين قبل نزولها إلى غرفة الطعام وبالرغم من رسمية الآنية الفض
اللماعة الموزعة على المائدة، إلا انها اكتشفت أن رب عملها لا يه
كثيراً بالرسميات.

روزي انتظرتها كما طلبت منها. لكنها حافظت على صمتها وه
متجهتان إلى غرفة الطعام. وكانت تجربة غريبة لها، الجلوس لتنا
عشاء صامت مع رب عملها وابنته، فكلاهما متحفظ ومبتعد،
تشابه مطلقاً الوجبات المرحة التي تشاركها مع عمتها في مطبخ
الصغير.

ظهرت شيلا عندما انتهت الطفلة من شرب كوب الحليب
وسارت معها راغبة إلى غرفتها. وتمنت كارولا لو تستطيع اللح
بها، لكن رب عملها كان قد ذكر لها أنه يود الحديث معها ب
العشاء، فبقيت تنتظر صامتة.

الريح كانت تزداد قوة طوال بعد الظهر، وارتجفت كار
لتفكيرها بالعاصفة القادمة... وراقبت العينان السوداوان ردة فع
هذه بسخرية، مما جعلها تقفز فوراً إلى الدفاع عندما سألها:

ـ هل تخيفك العواصف الساحلية؟

www.elromancia.com

ـ ليس بشكل خاص، لكنني أعرف مدى الأضرار التي قد تسببها.

ـ أضرار؟

ـ لقد تسببت في الماضي بأضرار جسيمة في المنازل، والمطر جرف أساس بعضها الآخر عن التلة، وكان يمكن أن يجرف الطوفان عدداً من الأطفال كانوا يلعبون، لولا سرعة الحطابين بالانذار، كما ان الساقية التي تقطع القرية طافت ذلك اليوم وتم اخلاء عدة مباني على جانبيها.

ـ أعتقد أن هذا لا يحدث دائماً؟

هزت كارولا رأسها:

ـ لا... ليس دائماً... لكن عندما يحدث كل من في القرية يهب للمساعدة وتنقلب الكنيسة إلى مأوى ومستشفى مؤقت إذا حصلت إصابات.

ـ واضح أنك عشت ويلات إحدى هذه العواصف.

رفعت كارولا رأسها لتلاحظ أن على شفتيه التواء خاصاً أعطاه شكلاً شيطانياً... فأجابت:

ـ بل عاصفتان لأكون أكثر دقة.

صمت قليلاً ليشعل سيكاره ثم يقول:

ـ بشأن روزي... أفضل أن تبقى الأمور ضمن الروتين المنظم لتبدأ دروسها عند الثامنة صباحاً... سيصلك الشاي عند العاشرة تتابعين بعده الدروس إلى الثانية عشرة... بعد الغذاء ترتاح ساعة، بعدها لا شأن لي كيف تمضيان ما بقي من وقتكما.

ـ حسناً سيد موريل... إذا كان هذا كل شيء، أود الذهاب إلى غرفتي...

ـ أرجوك ان تجلسي... فلم أنته بعد.

كان في صوته نبرة التسلط، فعادت إلى مقعدها فوراً. وأخفضت رأسها لينسدل شعرها إلى الأمام في محاولة لاخفاء احمرار وجهها:

ـ آسفة.

ـ ستتناولين الفطار والغداء في جناحك مع روزي. فأنا أتناول الفطار باكراً جداً، وعادة أتناول سندويشاً على الغداء في مكتبتي. أما طعام العشاء فتتناوله معاً... هل هناك اسئلة؟

ـ أين سأعطيها الدروس؟

ـ الغرفة المواجهة لغرفتك مؤثثة خصيصاً لهذا. ستجدين كل ما تطلبينه... لكن إذا لزمك شيء... فاعلميني... كما أطلب منك تقديم تقرير يومي عن نشاط روزي، ربما بعد العشاء وقت مناسب.

كان هذا أسخف طلب سمعته كارولا، لكن في الوقت الحاضر ستمتنع عن إبلاغه رأيها به. وتابع:

ـ هناك أمر آخر. لا أسمح لها بالجري في الحدائق دون مرافقة راشد، والأفضل أنت، فهناك أقسام محددة في شمالي الأرض وغربها لم تنظف بعد. وإمكانية وجود أفاعي ليست بعيدة. أنت الآن مسؤولة عنها، وأتوقع منك تعليمها النظام كما يجب، وإذا لم يكن الأمر ضرورياً جداً... لا أود أن تزعجيني في مكتبتي.

ما هو ذلك العمل المهم الذي لا يريد أن يزعجه فيه أحد؟ كم هي غبية... لماذا لم تتعرف عليه من قبل... إنه كاتب القصص الشهير في كل الغرب الأميركي، قصصه حولت إلى أعمال سينمائية ومسرحية وتلفزيونية في طول البلاد وعرضها وفي جميع انحاء العالم لسنوات طوال... وهي الآن موظفة لديه.

قاطع صوته الحاد أفكارها:

ـ لقد شحب وجهك آنسة وارندر... هل أنت بخير؟

ـ أجل... أجل... لكنني عرفت من أنت لتوي.

ـ حقاً؟

فسارعت للرد دون اعتبار لاختيار كلماتها:

ـ حضرت حفلة افتتاح مسرحيتك الأخيرة في العام الماضي في

www.elromancia.com

يقيا... لقد أعجبت النقاد كثيراً.

فلمعت السخرية في عينيه:

ـ لكنها لم تعجبك؟

ـ أنا... حسناً... إنني...

ـ أرجوك أن تأخذي حريتك في ابداء رأيك آنسة وارندر. من ثير للاهتمام معرفة رأي واحدة من الرأي العام بعملي.

علمت كارولا أنه وضعها في موقف سيء إذ أن رأيها ليس له ية معنوية. لكنها، بسبب تصرفه وبسبب غضبها من هذا التصرف، ت رأيها بجرأة لم تكن تحس بها.

ـ رأيي أنك خلقت شخصيات كانت تحتسب كل الأمور ببرود تام صة فيما يتعلق بالتوجهات الإنسانية في الحياة.

ـ حقاً؟ ولماذا؟

ـ كانت الشخصيات تفتقد الدفء الإنساني في علاقاتها. والقدرة ى الاهتمام بمشاكل الناس الآخرين.

اطفاً هاري موريل سيكارته، ثم حدق بها باهتمام.

ـ تبدين رومانسية... آنسة موريل.

ـ معظم الناس رومانسيون إلى حد ما.. على ما أعتقد.

ـ إذن معظم الناس يسيرون بغباء ورؤوسهم في السحاب، سون في عالم خيالي... لكن حقيقة الحياة قاسية، حتى أنها سة لا ترحم. ولا خلاص للمرء من لذعاتها التي تصادفه. هناك ، كراهية، معاناة، وكلنا في الأساس مندفعون لندوس شخصاً ما ت الأقدام عندما نرغب في الحصول على شيء... الناس تكذب، ى لتصل إلى اهدافها، يتلاعبون بمشاعر بعضهم البعض، وعندما سلون على ما يريدون، يتخلصون من الآخرين كما يتخلصون من ياء التافهة التي لا قيمة لها. والنساء هن القديرات أكثر في هذا ال.

حدقت به كارولا صامتة... لم تقابل من قبل عاصفة من المرارة مجتمعة في شخص واحد كهذه.

ـ كلنا أحرار في آرائنا الخاصة سيد موريل. لكنني أفضل أن أكون رومانسية من أكون متشككة.

ـ لكنني من النوع المتشكك آنسة وارندر. لأن الحياة اثبتت لي أني محق!

ـ أتمنى أن لا يكون في نيتك تربية ابنتك على نفس إيمانك؟

ـ ستكون حرة في تكوين إيمانها الخاص... لكنني اجرؤ على القول إنها توصلت إلى بعض الاستنتاجات المماثلة.

وقف على قدميه لتحذو حذوه، لكنها وقفت تواجهه ورأسها إلى الخلف تحدياً تحس بنبضات قلبها في عنقها:

ـ إذن، سيكون من صميم مهمتي أن أنير طريقها باتجاه معاكس.

ـ أو لتعليمها الاعيب النساء المنحرفة التي يستخدمنها دائماً.

ارتفعت يدها إلى عنقها... وتمتمت «عمت مساء» مخنوقة واوجهت بسرعة إلى غرفتها. ولم يلحق بها هاري موريل، ولا منعها من المغادرة. عندما أقفلت بابها، استندت إليه لعدة دقائق، محاولة التقاط أنفاسها.

ـ ماذا دهاني؟ لماذا سمحت له بتكديري؟ وما يهمني من آرائه أو كيف يختار أن يعيش حياته؟ أنا هنا لأعلم وأرشد ابنته إلى أن تتأهل للعودة إلى المدرسة، لا شيء غيره!

وأسرت لنفسها مكررة مرات ومرات انسي أمره! لكن هاري موريل رجل لا يمكن نسيانه بسهولة.

استيقظت كارولا ليلاً على صوت الزمهرير والعواصف، كان صوت المطر يصفق زجاج النوافذ، والبرق يلمع قبل الرعد، إلا أن هناك صوت شدّ انتباهها... إنه صوت نحيب الطفلة الذي جعلها تقفز من سريرها لترتدي روبها وتضع خفها في قدميها. وشكرت ربها

لتفكيرها بفتح باب غرفة روزي قبل أن تنام.

ـ روزي؟

توقف النحيب على الفور، فتقدمت كارولا إلى الأمام لتضيء المصباح الصغير قرب السرير.

ـ أتخيفك العاصفة؟

هزت روزي رأسها وتراجعت إلى الوسادة، لكن وجهها الشاحب المليء بالدموع قصّ على كارولا القصة الحقيقية. ولمع البرق الحاد يتبعه الرعد القاصف لترتجف الطفلة بشكل ظاهر، وليقفز قلب كارولا حناناً. وبدون تردد جلست قربها على السرير وضمتها بين ذراعيها.

دفنت روزي وجهها دون اعتراض في صدر كارولا. يداها تتمسكان بالروب بينما ذراعا كارولا الحنونتان تلفانها، ووضعت خدها على شعر روزي الأسود وأخذت تكلمها بنعومة والعاصفة مستمرة في غضبها.

بمرور الوقت، خف ارتجاف الفتاة، إلى أن غطت في النوم أخيراً. يدها على خدها الأحمر المرتاح إلى صدر كارولا. علت بسمة عذبة وجه كارولا وهي تراقب الفتاة النائمة، وحركت ذراعيها قليلاً لتريح عضلاتها. ثم أراحت نفسها إلى الفراش بقربها، لتغفو والفتاة مرتاحة بين ذراعيها.

لم تدر كم من الوقت نامت هكذا. لكنها استفاقت لتكتشف أن العاصفة تحولت إلى انهمار مستمر للمطر، وأن هاري موريل يقف قرب السرير ينحني فوقها. رفرفت عينيها بارتباك وهي تنظر إليه. ثم سحبت ذراعها بحذر من تحت جسد الفتاة النائمة. لكن الحركة فتحت مقدمة ثوبها لتكشف صدرها باغراء.

بسرعة لا توازي سرعة نبضات قلبها سارعت إلى ضم طرفي الثوب لاخفاء ما بدا من صدرها... ومن التواء شفتيه علمت أن

حركتها هذه كانت متأخرة، فصبغها الحرج من عنقها إلى وجهها... فتسللت من السرير دون أن تنظر إليه، لتقف أمامه مستعدة للهرب.

منظر صدرها العاري أمامه كان تجربة غريبة لها، فتعالى الفزع المجنون إلى قلبها وأدركت مدى غبائها عندما تجاهلت تحذيرات عمتها، وهاري موريل نفسه. إنه رجل أخطر بكثير من أن تعيش معه تحت سقف واحد، دون أية تأثيرات عاطفية.

ـ لقد انتهت العاصفة، والأفضل لك أن تعودي إلى فراشك. فأنت ترتجفين من البرد.

ما إن بلغت الباب حتى قال:

ـ آنسة وارندر؟

فتمسكت بجانب الباب لتستطيع الوقوف والتفتت إليه.

ـ أنا أقدر لك ما فعلتيه لروزي... ولو لم أكن مستغرقاً في النوم لفعلت لها الشيء عينه.

ذهلت لكلامه، فهزت رأسها وعادت إلى غرفتها... ومضى وقت طويل قبل أن تغفو مجدداً. ثم لاحقها في أحلامها طيف مخدومها ينحني فوقها. تفتيشها اليائس عن مهرب أفسدته قوى سحرية غريبة سيطرت عليها. وعندما بدا أن أسرها محتم، استيقظت بصرخة لتجد نفسها جالسة في الفراش. منهكة متعبة، رمت نفسها على وسادتها من جديد وعادت نبضات قلبها إلى طبيعتها، وغطت في نوم لا أحلام فيه.

● ● ●

٤ ـ قلب من حجر

استيقظت كارولا صباح الأحد، تتمدد بكسل، تعيد النظر بفكر
البقاء في الفراش مدة أطول. ثم تذكرت العاصفة التي هبت في الليل
الماضية، وأدركت مكانها. رفعت يدها تنظر إلى ساعتها... إنها
السادسة والنصف... الوقت لا زال مبكراً. لكن لعدم الفتها م
الروتين الجديد في قصر بكلاند، تسللت من الفراش وارتدت روبها.

كيف ستكون ردة فعل روزي عندما تلتقيان ثانية؟ ودخل
الحمام. هل ستكون منكمشة أكثر بسبب اضطرارها إلى البحث ع
الراحة مع شخص لا زالت لا تثق به، أم ستكون أكثر انفتاحاً؟

عندما عادت إلى غرفتها، سمعت دقاً على الباب ودخلت شي
مع صينية القهوة، وقالت بأدب:

ـ صباح الخير سيدتي. ظننتك نائمة.

وضعت الصينية على الطاولة قرب السرير. فردت كارولا وم
تجلس على طرف السرير وتصب لنفسها فنجان قهوة ساخن.

ـ لا أريد أن أضبط نائمة في أول صباح يوم عمل لي هنا..
همم... طعم القهوة لذيذ!

ـ لا يستيقظ أحد قبل السابعة هنا... ستكونين طيبة مع الآن
روزي.

لم يكن هذا سؤال، بل تقرير واقع، فأدهش كارولا وأعطا
شعوراً بالرضى لإحساسها أن شخصاً في هذا المنزل بدأ يثق بها:

ـ واضح أنك تحبين روزي.

ـ اعتنيت بها منذ كانت طفلة... والدتها...

وصمتت، مما أثار فضول كارولا، لكنها غيرت الموضوع.

ـ قالت لي روزي إنك ذهبت إليها ليلاً.

ـ وهل بدت منزعجة من هذا؟

ـ أبداً سيدتي. قالت إنك لم تغضبي منها لخوفها.

ـ لماذا أغضب؟

نقلت شيلا ثقلها من قدم إلى أخرى قبل أن تجيب:

ـ ليس من حقي أن أتكلم... لكن المربيات السابقات لم يفهم
مطلقاً تصرفات الآنسة. كانت مريضة، سريعة الخوف والسيد هار
كان يطلب منهن عدم تدليلها واسترضائها... لكنها بحاجة إلى الك
من الحب... كنت دائماً أقول لجاكسون، زوجي، إن هذه الطفلة
تحصل في الماضي، على ما هو كافٍ من الحب والعطف.

ـ لكن ألا يمنحها السيد هاري حبه واهتمامه؟

اكفهر وجه شيلا:

ـ السيد دائماً مشغول بالكتابة. لا يريد لها سوى السعادة والب
عن التعاسة، لكن قلبه من حجر.

قلبه من حجر... دوت الكلمات في ذهنها بعد خروج شي
بوقت طويل. هذا واقع لا ريب فيه، وكأنه مقدود من الغرانيت، فو
لا تتصوره مطلقاً يظهر أي مشاعر دافئة حنونة. له رأي سيء بالجن
البشري عموماً والنساء خصوصاً، هذا ما اكتشفته من نقاشهما
الأمسية السابقة.

تنهدت كارولا وهي تنظر إلى ساعتها، ما الفائدة من إضاع
الوقت في محاولة تحليل نفسية رجل معقد كمخدومها؟ خسار
لزوجته وابنه مفهومة وواضحة لكن لماذا انعكست هذه المرارة عا

www.elnoorya.com

الحياة نفسها؟ لا بد أنه عرف بعض السعادة مع زوجته وولديه؟

لاحظت وهي تنظر من نافذتها أن الغيوم تتلاشى لتفسح المجال أمام الشمس لتطل، فتركت نظرها يتجول في المباني الملحقة بالقصر، ثم كثبان الرمال المليئة بالعشب والأشواك، حتى وصلت إلى الامتداد الواسع لخليج المكسيك خلف تلك الرمال... لكن مظهر البحر المائج كان يشير إلى اضطرابات كبيرة تحت سطحه تماثل الاضطرابات النفسية التي كانت تحس بها. عودتها إلى غرفة جلوسها الخاصة الصغيرة كانت في وقت متناسب مع دخول شيلا تبتسم بأدب وتضع صينية على طاولة منخفضة:

- فطارك سيدتي.

رفعت كارولا الغطاء عن الصينية وتنسمت رائحة البيض المقلي مع اللحم والتوست.

- يا إلهي! لن أستطيع أكل كل هذا!

وحدقت شيلا بنحول جسد كارولا تحت الكنزة السميكة، وابتسمت:

- روزي حضرت الفطار... قالت إنك نحيلة وعظامك بارزة... كشخص كان يتضور جوعاً.

فضحكت كارولا:

- هل قالت هذا؟

أخذت تتلمس التجاويف في خديها، لقد خسرت كثيراً من وزنها خلال السنة التي أمضتها لوحدها في جنوبي أفريقيا بعد مقتل خطيبها، لكن ليس إلى الدرجة التي لمحت إليها روزي.

- قولي لها إنني سأبذل جهدي لآكل هذه الوجبة اللذيذة التي قدمتها لي.

فابتسمت شيلا راضية، وخرجت لتعود إلى المطبخ... حركة

خفيفة استرعت انتباهها، فرفعت نظرها لتشاهد الطفلة التي وقفت تراقبها مقطبة باهتمام.

- صباح الخير روزي... هل تناولت الفطار؟

هزت روزي رأسها وتراجعت قليلاً. فقالت كارولا:

- إذن ادخلي لتسليتي وأنا أتناول فطاري.

استرخى وجه الفتاة الصغير المتوتر، وتقدمت ببطء لتجلس على حافة كرسي مواجه لكارولا. فتظاهرت كارولا أن ما حدث الليلة الماضية لم يكن. وحافظت على وجود جو عادي بينهما وهي تنهي فطارها، وتصب فنجان قهوة:

- لك شعر جميل روزي، أتمشطه لك شيلا؟

- نعم... أحياناً أمشطه بنفسي.

بالرغم من تجاوب الفتاة معها إلا أنها حافظت على نفس الحذر:

- أترغبين في مشاركتي بقطعة التوست هذه... حقاً لا أستطيع أكلها.

ردت روزي بحياء، وهي تمد يدها لتأخذ التوست:

- شكراً لك.

ثم تفرست بكارولا لعدة لحظات قبل أن تسألها:

- ما اسمك؟

قفز قلب كارولا فرحاً، وهي تقول لها الاسم... فكررته روزي:

- كارولا... انه اسم جميل.

- بإمكانك مناداتي به إذا أحببت. ماذا سنفعل اليوم؟

- لا أعرف.

- حسناً، إذا كنت راغبة، أريني أين سنأخذ الدروس. بعدها نخرج للاستكشاف في الحديقة... فالطقس بدأ يتحسن.

www.elromancia.com

ـ ما هو الاستكشاف؟

ـ يعني التفحص، النظر إلى.

ـ ليس هناك ما ننظر إليه في الحديقة.

ـ اوه بل هناك، إذا عرفت عما تفتشين. هل نأخذ هذه الصينية المطبخ أولاً؟

ـ لست مضطرة لهذا العمل. شيلا تؤديه دائماً عندما تدخل تيب الغرف.

ـ حسناً... أنذهب إذن؟

فتحت روزي الباب المقابل لغرفتها:

ـ في هذه الغرفة أحب أن أتلقى دروسي.

ـ كم هي جميلة.

كانت الغرفة واسعة، غرفة صف مصغرة فيها طاولة وكرسي مدرسة وطاولة وكرسي أصغر، لوح أسود مثبت إلى الجدار خلف اولتها، ورفوف للكتب، تحوي ما يكفي من مواد لتدريس صف كمله. النافذة الواسعة تطل على منظر رائع للتلة الواقعة خلف صر والمليئة بأشجار الصنوبر، في هذا الوقت بدأت شمس الصباح سل أشعتها الذهبية لتعطي الغرفة الدفء الناعم فقالت كارولا رافقتها الصغيرة:

ـ من الرائع العمل في غرفة جميلة كهذه.

ـ لا أحب المدرسة.

ـ لماذا؟

ـ تجعلني أتعب.

نظرت كارولا بعطف إليها، وقررت أن لا تفرض على الصغيرة يرهقها في البداية:

ـ لنذهب للتنزه في الحديقة الآن.

التزمت كارولا الممرات المرصوفة بين النباتات الكثيفة ا تشكل جزءاً من حديقة القصر وأرضه الواسعة. فسلوك طريق آخر من الغباء بعد أن حولت العاصفة التراب المليء بأوراق الشجر سجادة اسفنجية لا يمكن السير فوقها قبل بضعة أيام.

أبدت روزي عدم الاهتمام في البداية، لكن حماس كار الطبيعي إلى ما يحيط بها أيقظ الاهتمام في نفس الفتاة. خاصة أن قامتا بأعمال عديدة منها جمع أوراق شجر من عدة ألوان وأشكا وأحجام. وحالفهما الحظ في اكتشاف عش حمام بري على غص منخفض لشجرة «أكاسيا» فرفعت كارولا الصغيرة لتلقي نظرة إل فصرخت من البهجة لاكتشافها حمامتين صغيرتين حديثي الولا ملتصقتين داخل العش. فسألت روزي حين حاولت كارولا اعاد إلى الأرض:

ـ هل يمكننا العودة غداً لنلقي نظرة أخرى عليهما؟

ـ أجل... طبعاً.

ـ صباح الغد؟

ـ سنلقي نظرة عليهما بعد ظهر الغد بعد أن تستفيقي م نومك... وهذا وعد مني.

سارتا معاً إلى شجرة صمغية كانت تنزف صمغها فسألت الصغ بعد أن نزعت قطعة لحاء:

ـ هل هذه الأشجار قديمة؟

تفحصت كارولا قطعة اللحاء في يد روزي:

ـ بعضها أقدم عهداً من القصر نفسه.

ـ لماذا يسمى منزلنا «قصر بكلاند»؟

ـ حسناً، لأنه كالقصر ببرجيه المرتفعين على جانبيه... أحده لمجرد الزينة كما تعلمين، أما الآخر فيمكنك التسلق فوقه لتطلي عا

www.elromancia.com

البحر والتلال.

- كيف تعرفين هذا؟

- زرت القصر منذ زمن بعيد، وأذكر أن أحداً أخذني إلى البرج. لكن الاسم «قصر بكلاند» حصل عليه المنزل منذ زمن بعيد جدا. أتحبين سماع القصة؟

جلست كارولا إلى جذع شجرة مقطوعة، فانضمت إليها روزي تحتضن مجموعة أوراق الشجر بين يديها... فقالت كارولا:

- السيد والسيدة بكلاند جاءا إلى هذه المنطقة الساحلية من تكساس منذ سنوات بعيدة. فالسيد بكلاند كان مريضاً وبحاجة للسكن في مكان صحي ينعم بوجود الشمس والهواء البحري المنعش. وأخذ الناس في القرية يطلقون على المنزل اسم قصر السيد والسيدة بكلاند. وبالتدريج أصبح «قصر بكلاند». عاش في القصر آخرون بعد السيد والسيدة بكلاند انما اللقب بقي معروفاً باسمهما وقد كرسه فعلياً أحد المالكين الجدد عندما نحته على لوحة نحاسية ثبتها عند الأبواب.

- قصة مثيرة للاهتمام لم أكن أعرفها... كم عمر القصر في ظنك؟

قفزت كارولا وروزي فزعاً لصوت مالك القصر... وتوقف تفكير كارولا للحظات تحدق بمخدومها وتحاول السيطرة على دقات قلبها. بنطلونه الجينز الأجرد اللون، كان مندساً تحت حذاء موحل عالي الساقين. إبهاماه معلقان في حزامه الجلدي العريض فوق خصره النحيل. وردت عليه:

- أظنه بني منذ ما يقارب الثمانين سنة.

فقال ساخراً:

- واستطيع القول إن قصة أصله تناقلتها الألسن إلى أن أصبحت بعيدة عن الحقيقة.

روزي، التي جلست بصمت قرب كارولا منذ وصول أبيها، نزلت عن جذع الشجرة لتتابع بحثها عن الأوراق غير مبالية بالحديث العدائي المتبادل. سارعت كارولا للقول:

- السيد بيركنز، صاحب المخبز، أخبرني القصة بنفسه، فوالده شارك في البناء في ذلك الوقت. وقدم معظم المواد... وكما ترى، القصر مبني من حجارة غير موجودة إلا محلياً.

- إذن فالقصة فيها شيء من الحقيقة طالما رواها السيد بيركنز.

- أنا لست من النوع المتشكك الذي يشك في كلام من أعرفهم واثق بهم منذ طفولتي.

نظر إليها متجهما، لتتعمق الخطوط حول وجهه:

- إذن... أنت لست امرأة غير عادية فحسب آنسة وارندر ولكنك ساذجة كذلك. لو كنت مكانك لكنت حذراً أكثر، لا يمكن الثقة بأي إنسان هكذا.

ردت بسرعة ودون تفكير:

- وهل يشمل رأيك هذا نفسك؟

كادت تعض لسانها ندماً عندما لاحظت النظرة الغاضبة التي رمقها بها، نظرة توحي بأنها إنسان لا ميزة له، وليس له الحق أو الجرأة في مناقشة شخص مثله. وأجابها بصوت متحفظ:

- أجل... عندما يناسب الموقف وجهة نظري.

حاولت اللحاق بروزي المتجهة إلى المنزل، لكنه أمسك بذراعها:

- دعيها تتقدمنا.

نظرت بسرعة إلى الاصابع القوية الملتفة على ذراعها، وأحست شعوراً غريباً من الضياع عندما تركها وقال بلهجة طبيعية:

- أنا مسرور لرؤية روزي، مرتاحة لك وبهذه السرعة.

www.elromancia.com

ـ أكنت تظن أنها لن تفعل؟

ـ من الصعب القول كيف يمكن لها أن تتصرف. حتى في سنها بكر هذا، تمتلك صفات المرأة الكاملة.

إذا كانت نيته أن يغضبها فقد نجح، لكنها كبحت رداً حاداً، بارعت خطاها. فتابع دون اكتراث:

ـ حول ما جرى ليلة أمس، اشكرك على ما فعلت. لكنني لا دها أن تعتاد على مثل هذه الحوادث الطبيعية. يجب أن تتعلم أن شيء يخيف في العاصفة.

ـ خوفها سيزول مع الزمن. لكن حتى ذلك الوقت، لا أستطيع قوف متفرجة دون مساعدتها... ليلة أمس...

فقاطعها:

ـ ليلة أمس كانت استثنائية... ومعذورة.

توقفت كارولا في مكانها لتستدير وتواجهه برفع رأسها متحدية:

ـ أفهم من هذا أن لي الحرية في مسألة تعليمها؟

ـ طبعاً. إذا كانت لأساليبك النتيجة المطلوبة، فسأترك الأمر لك يا.

أدار رأسه متكبراً ليسير في الاتجاه المعاكس لاتجاهها. لكنها رفت تصرفاً ندمت عليه فيما بعد. إذ نادته قائلة:

ـ سيد موريل! أنت تهتم بأمر روزي أليس كذلك؟ أعني... أنت م إذا كانت سعيدة أم لا؟

تفرست بها عيناه السوداوان من الرأس حتى القدم بوقاحة أرسلت م إلى وجنتيها:

ـ آنسة وارندر. أنت تنسين أمراً مهماً. روزي ابنتي، ولدي سؤولية كاملة نحوها. فإذا لم أهتم بسعادتها، لما بدلت كل هذه ربيات في فترة قصيرة. ولكنت استبقيت الأولى، ولسمحت لروزي

ن تمضي في خوفها لتصبح أبعد من أي علاج نفسي، فهل يجيب ذا على سؤالك؟

بللت كارولا شفتيها متوترة:

ـ أجل... أنا آسفة.

استدار على عقبيه بسرعة مبتعداً عنها والغضب يوسع خطواته... على الرغم من ندبة الجرح على خده، بدا لها أعظم رجل شاهدته في حياتها.

جذبت نفسها مجفلة من أفكارها، واستدارت تفتش عن روزي. وبت نفسها على وقاحتها في استجوابه عن حبه لابنته... لقد استحقت رده الغاضب دون شك.

وفي فترة بعد الظهر، خلال نوم روزي، انتهزت كارولا الفرصة مضي الساعة في غرفة الدرس تراجع الكتب التي حددها السيد ماري، وتتفحص سير العمل الذي مرت به روزي من قبل.

استمرت في تفحصها مدة تزيد عن الساعة، تتقبل وترفض عدة رق وتسجل الملاحظات. كانت مستغرقة بعملها حتى أنها لم تلحظ رور الوقت. لذا تعجبت لدخول روزي قائلة لها إن شيلا قد حضرت لها صينية الشاي.

بعد عشاء تلك الأمسية، ودعت كارولا الطفلة روزي متمنية لها ليلة سعيدة قبل أن تستقر أمام النار لتقرأ كتاباً. غيوم العاصفة كانت د عادت إلى التجمع ثانية بعد الظهر، وأخذ البرق يلمع من مكان بعيد فوق البحر. ولاحظت أن روزي بدأت تتململ لإحساسها بالعاصفة فقالت لها بلطف:

ـ سأفتح باب غرفتك وغرفتي. فإذا عادت العاصفة وأخافتك، أعديني بأن توقظيني؟

هزت روزي رأسها بالايجاب ثم استدارت إلى جانبها تواجه

www.elromancia.com

الجدار... فراقبتها كارولا للحظات ثم انحنت لتطبع قبلة خفيفة على خدها:

- تصبحين على خير روزي.

قبل أن تخرج من الباب سمعتها تقول:

- تصبحين على خير كارولا.

إنها بداية مشجعة، جلست قرب النار وبيدها كتاب... لكن لماذا تشعر بأنها راغبة في البكاء؟

واجهت كارولا عدة مصاعب خلال أول أسبوع لها في القصر. أول حصّة لها في غرفة الدرس كانت جيدة جداً. طريقتها في التعليم بدت غريبة لروزي، فأطاعت تعليماتها وكأنها تتابع لعبة ما. النماذج والرسومات التي جعلتها تقوم بها كانت جزءاً من برنامج عمل تنوي اتباعه معها... وكما توقعت، تبخر كل تردد في نفس روزي للدرس. لكنها لم تكن ناجحة معها عندما وصل الأمر إلى التطبيق. لكن هذه عقبة يمكنها التغلب عليها مع الوقت بعد أن ترتاح لها روزي أكثر فأكثر فتصبح قادرة على التركيز.

لكن، بعد اليوم الأول أخذت الرياح مع كارولا تجري بما لا تشتهي السفن، حيث كانت كارولا تستيقظ كل ليلة على صراخ روزي فتسرع إلى جانبها وتهدىء من روعها، وتعطيها الحبوب التي وصفها لها مارك. كانت الحبوب تساعدها جداً... لكن الكوابيس كانت تصيبها بالارهاق مما يسبب عدم قدرتها على التركيز في اليوم التالي.

في إحدى الليالي أيقظ صراخ روزي السيد هاري، لكنه بعد أن تأكد من قدرة كارولا على معالجة الوضع عاد إلى غرفته دون أن يقول كلمة.

مواجهة هاري بتقرير يومي عند المساء كانت مهمة صعبة خاصة وأن روزي لم تحرز بعد أي تقدم ملموس وأخذ يعترض على طريقتها

في التعليم، مشيراً إلى اتباع أفكار وأساليب قديمة الطراز لم تعد سارية المفعول، ولا مقبولة لديها. وكانت تجد نفسها تعود إلى جناحها كل مساء دون إقناعه بصحة أفكارها.

في إحدى الأمسيات واجهها بسؤال بعيد عن موضوعهما العادي:

- أعتقد أن القرويين لا زالوا مستائين من عدم سماحي لهم بالمرور عبر أملاكي؟

- هذا صحيح.

- لكنني كنت أظن أنهم نسوا نفورهم مني منذ أسابيع.

- لن يتوقف هذا النفور ما لم يحصلوا منك على إذن باستعمال تلك الطريق الآمنة نحو الشاطىء.

- كيف يصلون ذلك الشاطىء اللعين لا يهمني... كان عليهم أن لا يتركوا الممر الأصلي يصل إلى هذه الحال السيئة أبداً!

- سيد موريل... على الرغم من أنني مذنبة بقدر أي واحد منهم في استخدام أراضي القصر كطريق مختصر، لكني أعترف أن من حقك الكامل الاعتراض على استخدام أرضك للمرور. لكن الموضوع الذي أود شرحه لك هو أن السلطات تأخرت كثيراً في البدء بالتصليح. ولا يوجد طريق آخر يمكن استخدامه إلى أن يرمموا الطريق الأصلية.

فلوى شفتيه بخشونة:

- ما عدا الطريق التي تمر بأرضي!

ظهرت روزي لحظتها، لتركض وتقف إلى جانب كارولا... فاستدار هاري نحو مكتبته. فسألت روزي متوترة وهي تنظر إلى والدها:

- أيمكننا الذهاب لنرى صغار الحمائم بعد الظهر، لا بد أنها اكتسبت ريشاً الآن.

www.elromancia.com

ـ فلنذهب الآن.

لحقت كارولا بالطفلة التي بدت مستعجلة للوصول، في الطر
سألتها:

ـ لماذا كان والدي غاضباً هكذا؟

ـ لا أظنه غاضباً... بل هو قلق حول شيء ما.

ـ مما هو قلق؟

لاحظت كارولا كم من المذهل تغير مزاج الصغيرة، بعد
رفعتها لتشاهد الحمائم، ثم جلست إلى جذع الشجرة.

وردت عليها:

ـ روزي، مشاكل والدك لا تعنيني ولا تعنيك... فمهما كانت
يمكنه حلها بنفسه.

ـ أيريد إعادتي إلى المدرسة الداخلية؟

ـ لم يذكر لي شيئاً عن هذا.

فارتجفت شفتا الفتاة الزهريتان:

ـ لا أريد الذهاب إلى مدرسة داخلية، أريد البقاء مع أبي...

نظرت إليها كارولا مذهولة قبل أن تضمها إليها، ولم تظ
الصغيرة ممانعة لضمها.

ـ حبيبتي... أنا واثقة أن والدك لن يرسلك إلى مدرسة داخلية

لكن ماذا تعرف عنه؟ ماذا تعرف عن شعوره حول الموضوع؟ و
يعتبر المدرسة الداخلية الحل الوحيد لمشاكله.

التفت ذراعا روزي حول عنق كارولا.

ـ هل ستطلبين منه أن لا يرسلني إلى المدرسة الداخلية
أتفعلين؟

تطلعت كارولا إلى عيني الفتاة الواسعتين المتوسلتين وخنق
الغصة مجرى نفسها.

ـ سأفعل ما بوسعي روزي.

٥ ـ القلب يرقص

ذلك المساء جلست كارولا بمواجهة هاري قرب طاول
العريضة... وبحذر، راجعت ما ستقوله له. وسألها:

ـ هل هناك شيء آخر تودين قوله عن تقدم حال ابنتي؟

ـ لا... على الأقل. لكنها خائفة من أن ترسلها ثانية إ
المدرسة الداخلية.

مرت لحظات صمت مطبق، استطاعت خلالها الإحسا
بموجات غضبه.

ـ وهل أثرت معها هذا الموضوع؟

ـ لا... لكنها سألتني عن سبب غضبك... وأنا...

ـ نعم... تابعي...

ـ قلت لها إنك قد تكون قلقاً حول شيء ما.

ـ حقاً؟ وبعدها؟

ـ قالت، دون مقدمات، إنها لا تريد العودة إلى المدرس
الداخلية... ولم يكن أمامي سوى الاستنتاج أن هذا أمر يزعجها أك
مما قد تتصور.

ـ وماذا تقترحين أن أفعل... هل أذهب إليها لأبلغها بأن
تقلق، إذ ليس لدي النية في إرسالها إلى المدرسة الداخلية؟

ـ وهل هذه هي الحقيقة؟

ـ لا! فالحقيقة آنسة وارندر أنني لا أملك فكرة بعد عما يجب

www.elromancia.com

أفعل بها. فأنا لا أريد قطعاً إبعادها عني... ولكن قد اضطر لهذا.

ـ هل حاولت شرح الأمر لها؟

ـ لا... لم أرغب في التسبب بمزيد من التعاسة لها. ربما في المستقبل فالأمر لا يزال مبهما بالنسبة لي.

ـ الأمر يهمها كثيراً لذا لا بد من أن تعرف أنك لا تنوي إبعادها إلا إذا أصبح الأمر ضرورياً بالكامل... إنها تعاني من إحساسها بعدم الأمان، هذه هي مشكلتها... أساساً.

ـ لقد تركت السكن في لوس انجلوس طلباً للهدوء والسكينة اللذين يمكن أن توفرهما هذه المنطقة، خاصة وأن جوها المختلف والصحي قد يساعد في شفائها... فماذا يمكنني أن أقدم لها أكثر من هذا؟

ـ أن تعطيها بعضاً من وقتك واهتمامك.

خفق قلبها بعنف وهو ينظر إليها بانزعاج:

ـ آنسة وارندر... خلال الأسابيع الماضية سعيت جاهداً للانتهاء من كتابي، هادفاً لإيجاد الفرصة التي تسمح لي بقضاء وقت أطول معها. وكل ما أحتاجه الآن بضعة أسابيع أخرى... بعدها سأكون تحت تصرفها متى شاءت.

لم تجد كارولا أي خطأ في هذا. وأنبت نفسها بصمت على تسرعها:

ـ لم أكن أعرف أنك...

فقاطعها ساخراً:

ـ لا. فالناس نادراً ما يعرفون. وسأكون ممتناً لك إذا لم تتسرعي في الحكم علي مستقبلاً، قبل حصولك على كل الوقائع.

قاطعه رنين الهاتف، فالتفت ليلتقط السماعة. ولم تنتظر كارولا لتسمع الحديث فاستغلت الفرصة وانسحبت إلى جناحها.

تنهدت وهي تضيء المصباح الصغير قرب السرير، وأمسكت بمجلة قلبت صفحاتها دون تركيز. وجه هاري كان يتراءى أمامها وتعنيفه الأخير لا زال يؤثر فيها وأسرّت لنفسها: عند كل مناقشة تدور بيننا، ينبغي علي أن أقف في موقع الدفاع! ترى ما السبب؟

سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، لكنه انفتح قبل أن ترد، ليدخل هاري ويقفله خلفه ويستند إليه. هذه المرة الأولى منذ وصولها يدخل غرفتها، وأدركت أن شيئاً ما قد حدث عندما لاحظت تجهم وجهه:

ـ ظننت أنك قد تهتمين لمعرفة ما حدث في القرية، ومن كان المخابر. إنه السيد كايلي... ذهب ابنه الصغير إلى الشاطىء بعد ظهر اليوم، ووقع في الممر المنزلق وأصيب بجرح عميق في رأسه استدعى نقله إلى المستشفى. من بين كل الشتائم والكلام المرير فهمت أنه يحملني مسؤولية إصابته، لذا سيرسل لي فاتورة تكاليف علاج ابنه.

ـ لكن هذا أمر سخيف!

ـ قولي له هذا.

ـ وماذا ستفعل؟

ـ أولاً... سألقي نظرة على ذلك الممر اللعين حال أن تسنح لي الفرصة.

ـ هل لي بابداء اقتراح قد يحل المشكلة؟ هناك بوابة صغيرة في الجدار الجانبي خلف جناح الخدم. يمكن فتحها للمرور... وستحتفظ بخلوتك الخاصة، وترضي القرويين لحين ترميم الممر.

تبع اقتراحها صمت متجهم. فخفق قلبها بالخوف... متوقعة في أية لحظة إصابتها بسلاطة لسانه. لكنه قال:

ـ ربما يستحق الأمر بعض التدقيق.

رفعت رأسها بحدة لتتأكد أن ما سمعته صحيح. فوجدت نظرته

ثابتة خالية من أية سخرية... فسألته:

- هل أقدم لك فنجان قهوة... إنها فورية.

- شكراً لك.

- لقد زودتني شيلا مشكورة بفنجانين وإبريق كهربائي لا أستخدمه. فأرجو أن لا تمانع.

- يبدو لي... أنك خلال أسبوعين سحرت قلوب جميع من في المنزل.

حملت الصينية إلى الطاولة الموضوعة بينهما وجرتها نحوها.

- إذا كان الأمر هكذا، فأنا لم أقصده.

- اتساءل عن هذا...

أخذ منها فنجان القهوة قبل أن يتابع:

- من الملاحظ أنك أحرزت نجاحاً مقبولاً في علاقتك مع روزي... فهل تنوين استعمال سحرك لفتح طريقك والوصول إلى قلبي أيضاً.

تصلب كل جسدها امتعاضاً:

- لا أدري عما تتكلم... فأنا لم...

- اوه... هيا الآن هل أنا أمام امرأة لا تستغل جمالها وفتنتها لتسيطر على أكبر عدد ممكن من القلوب.

فعلقت بخشونة رافعة يدها دون وعي إلى عنقها مخنوقة الأنفاس.

- لست أنوي الجدال معك سيد موريل حول هذه النقطة لأنه من الواضح أنك لم تقابل في حياتك سوى النساء الشريرات، وأنا واثقة تماماً أن ما من امرأة استطاعت تحطيم الدرع الذي تضعه متعمداً حول نفسك.

ماذا تقول بحق الله، ماذا تفعل؟ لماذا تكلمه هكذا؟ لكن ما

بعد لحظة جعلها تحدق به بذهول... لأول مرة منذ قابلته يرأسه إلى الوراء وضحك ضحكة طبيعية خالية من التصنع. لم تستطع تصديق ذلك حتى تعابير وجهه عبرت عن صدق ضحكته، التي قد اعتادت منه المواجهة بابتسامة ساخرة.

عاد السيد هاري إلى طبيعته المسيطرة، ولاحظت بخيبة أمل عودة الخطوط المتجهمة لترتسم على وجهه وقال:

- أنت محقة تماماً. وأنا أعرف تماماً أساليب الخداع التي تستخدمها النساء فلقد عايشت مرة مثل هذه الأساليب.

المرة الثانية؟ وهل هناك من مرة أولى؟ من الواضح أن هناك امرأة وجيهة أدت لإحساسه العميق بالمرارة، أسباباً لا يمكن تصور مرارتها أو حدتها لذا قررت إبدال وجهة الحديث إلى جهة توحي بالأمان والهدوء.

- سيد موريل. إذا أردت الذهاب إلى القرية في سيارتي في بعض الأوقات. فهل تأذن لي بأخذ روزي معي؟

وضع فنجانه الفارغ من يده، وأشعل سيكارة قبل أن يجيب:

- لا أود عرضها أمام الناس.

- عرضها أمام أي ناس، بحق الله؟ وهل أنت خائف من انتقام الناس؟ لن ينتقم أحد من طفلة في القرية مهما كان السبب... وقد يفيدها الخروج ولقاء الناس كثيراً... وقد تتصادق مع أولاد في مثل عمرها، وتطلب منهم اللعب معها هنا.

- لا... أنا أمنع هذا قطعياً!

- لماذا؟

- لا أتحمل وجود أولاد يجوبون المنزل وأنا أعمل... ثم...

- لكن أراضي القصر واسعة لتحتوي دزينة أطفال، دون الحاجة لوجودهم.

ـ يجب أن أضيف إلى معلوماتك سبب عدم قدرتها على الدخول إلى المدرسة، فالاطباء نصحوا بعدم تعرضها لأي إثارة من أي نوع كانت. ووجود أطفال يلهون معها قد يثيرها.

ـ صحيح... طبعاً... لكنني أود أن تلتقي بعمتي... إنها لطيفة جداً مع الأطفال. والأطفال يعجبون بها.

ـ وماذا يجعلك تظنين أنها ستكون لطيفة مع روزي؟

ـ كنت طفلة عندما احتضنتني عمتي ايما.

لم يكن هذا موضوعاً تحب أن تطرقه، لكنه مهم جداً كي تجعل هذا الرجل يدرك أنه لا يستطيع ابقاء طفل بعيداً عن عالمه الخارجي. فتابعت:

ـ كان والدي عالماً نباتياً يهوى أيضاً السفر والإبحار مما ولّد لديه حب الاستطلاع والاكتشاف، اللذين أديا إلى ضرورة التجول ونادراً ما كانت أمي تسمح له بالسفر وحيداً. وفي إحدى السفرات لغابات الأمازون، اعترضتهما عاصفة بحرية ساحقة وأعلن وقتها عن فقدهما.

فقطب هاري حاجبيه متأثراً:

ـ أكنت في... الثانية عشرة عندما حدث هذا؟

ـ أجل... خفت وارتبكت، واعتقدت أن الدنيا قد انتهت، إلى أن تولت عمتي ايما حضانتي وتربيتي.

ظنت أنها قد حصلت على الراحة عند إخباره ما حدث معها. لكن التعبير في وجهه بقي على حاله، فسكتت منتظرة تعليقاً منه. لكنه وقف، ومد اصابعه ليفرك فكه مفكراً. ثم قال أخيراً:

ـ إذا كنت تظنين أن لقاء عمتك سيساعد روزي، فليس لدي اعتراض... لكنني لا أريدها أن تتعرض لأية إثارة، مفرحة كانت أم محزنة.

فوقفت كارولا لتضع يدها على ذراعه شاكرة:

ـ أعدك أن أعتني بها جيداً... و... شكراً لك.

نظر إلى يدها الممسكة بذراعه، فابعدتها محرجة. ابتسم وهو يراقب تبدل اللون في خديها، فأخفضت نظرها لتخفي ارتباكها.

ـ شكراً للقهوة... تصبحين على خير... كارولا.

خرج قبل أن ترد، لكن صدى اسمها الخارج من بين شفتيه أصاب جسدها برعشة محببة فردعت نفسها، هامسة لها: «احذري كارولا... هاري موريل قد يكون ناجحاً في تحصين قلبه ليحميه من الوقوع في الحب، لكن قلبك ضعيف ورقيق ومشكوك بأمره، قد لا يستطيع الخلاص من حبائل الحب، إذا لم تردعيه مسبقاً وسريعاً».

اليوم التالي، كان مميزاً بدفئه وجماله، على الرغم من أنه من أيام فصل الشتاء القارس، قصدت كارولا الشاطىء ترتدي بلوزة قصيرة الأكمام، ورفعت بنطلونها عن ساقيها، لتركض فوق المياه المندفعة فوق لسان رملي تحدّه كثبان تنمو عليها الأشجار الصغيرة من كل جانب. هكذا كانت تحب أن يكون الشاطىء منذ كانت طفلة، أن تكون لوحدها مع أفكارها، ربما لتخفي دموعها، أو سعياً وراء الهدوء والارتماء في أحضان الطبيعة.

رفعت رأسها وتنفست نفساً عميقاً لتتنشق الهواء النقي ولتملأ رئتيها، ولعقت شفتيها لتتذوق طعم الملح... لطالما أحست بالانتعاش وهي تسير على الشاطىء لا تسمع سوى صوت الموج في أذنيها، ولا تحس سوى بحرارة الرمال تتسلل إلى اصابع قدميها... مدت ذراعيها لتنعم بالحرية، ترقص على رمال الشاطىء المغتسل بأشعة الشمس.

دون أن تعي أنها مراقبة، استمرت في الدوران الراقص إلى أن تهاوت مقطوعة النفس منهوكة القوى، وتمددت فترة فوق الرمال

www.elromancia.com

تحدق بغيمة ضائعة تقطع طريقها عبر السماء الصافية، لكنها
ما أغمضت عينيها في وجه أشعة الشمس الحارقة، وفجأة
بظل يخيم فوقها، ففتحت عينيها ثانية لتجد أن السماء
بكتفين مليئتين بالعضلات شديدي السمرة لا بل السواد من قوة
الشمس... فرفعت نظرها أكثر لتصطدم بوجه قاس على
سنتمترات من وجهها.

لم يكن أمامها سبيل لخلاص مشرّف. فالذراعان القويان
مزروعان بثبات إلى جانبيها، يأسرانها، دون أن يلامس
بذهول... لاحظت الهالة الذهبية حول بؤبؤ العينين. غريب كيف
لم تلحظ هذا من قبل. وتحولت نظرتها إلى آثار الجرح في و
فأحست برغبة لا تقاوم بأن تمرر أطراف اصابعها عليه، من ال
حتى الفك. وسمعته يقول ساخراً:

ـ هناك سبب للاستعراض الراقص الذي عرضته منذ لحظات
وأنا أكيد أن بإمكانك تنويري عنه.

ـ وهل يجب أن يكون هناك سبب؟

ـ أجل... عندما ترقص امرأة على الشاطىء بالطريقة
رقصت بها. فلا يمكنني سوى الاستنتاج أنه كان تعبيراً عن تعا
مع رجل ما يشك بذلك... ربما كنتُ، أنا، ذلك الرجل؟

وعلقت أنفاسها في حلقها وصاحت به:

ـ كيف تجرؤ على هذا القول؟

ـ ليست المرة الأولى التي تحاول فيها امرأة شد انتباهي إليها

ضحك بخشونة، وأمسك بيدها ليجذبها واقفة. فشدت يدها
ونفضت الرمل عن شعرها وبنطلونها وهي تتمتم بغيظ:

ـ أنا لا أفعل هذا... ولم أفعله مطلقاً وفي...

ـ لكنك قد تفعلين... عندما تقوى غريزة الصيد فيك.

النساء سواسية.

شحب لونها بشكل ظاهر:

ـ لك رأي مشين بالنساء سيد موريل.

ـ صحيح انسة وارندر؟

ناداها كارولا مساء أمس... وأدركت فجأة أنه لا يرتدي سوى
شورت قصير يتعلق بخصره النحيل ليبرز ساقيه القويتين. لكنها أبعدت
نظرها وقالت:

ـ النساء لسن فاسدات كما تحب أن تصورهن.

ـ أتعتقدين أن بعضهن فاسدات؟

ـ لا أعترف بشيء كهذا!

ـ أنت تناقضين نفسك، لكن هذا لا يغير رأيي... فلي خبرة
رائعة في الموضوع، وكلها مع النساء. وهذا ما جعلني أدرك أن ليس
هناك من امرأة في الكون يمكن للمرء أن يثق بها أو أن يعتمد عليها.

استدار عنها وهو يتكلم بصوت ملؤه المرارة... لا بد أن هناك
امرأة قد جرحته بالصميم... لكن من؟ ولماذا؟

تركزت عيناها على أثر جرح آخر كان يمتد من منتصف صدره
فوق ضلوعه حتى جانبه الأيسر... لكن منظره لم يؤثر أبداً على
رجولته البارزة. مما جعلها تحس بشيء لم تحس به مع رجل آخر.
وارتفعت نظرتها إلى الجرح في وجهه، ثم احمرت حرجاً بعد أن
لاحظت أنه ضبطها تراقبه. فلوى فمه ساخراً:

ـ هل تجدين جروحي منفرة؟

ـ لا...! إنها غير منفرة... ولا تزعجني مطلقاً.

كيف يمكن أن تشرح له قوة رغبتها لأن تلمسه، وتمرر اصابعها
على جرحه، تتحسس دفء جسده القوي، دون أن تذل نفسها؟ قاطع
صوته أفكارها بحدة:

- كنت أفكر باقتراحك.

- اقتراحي؟

- فتح البوابة الجانبية... أتذكرين؟

- اوه... أجل. هل ستتركها مفتوحة؟

- أجل، لكن المشكلة كيف سأعلم الجميع بقراري؟ هل أسير في طرقات القرية معلقاً يافطة على صدري، كتب عليها: مسموح المرور عبر أراضي قصر بكلاند؟

علمت فوراً أنه لا يريد الاعلان رسمياً عن أنه انصاع للأمر فقالت بسرعة:

- لن يكون هذا ضرورياً... سأبث تلميحاً في «قاعة الأخبار» وسينتشر.

- قاعة الأخبار؟

- إنها «قاعة الشاي» لعمتي. الجميع يذهب إلى هناك للثرثرة والتقاط الفضائح. تنفس هناك بكلمة، فتنتشر في القرية بالأحرف الكبيرة وتصلك على جناح الريح، وقبل أن يرف جفنك.

- حسناً، بما أن المشكلة الآن حلت، سألقي نظرة على الممر الذي يبدو أن الجميع مهتم به... أتعرفين الطريق إليه؟

- طبعاً.

- تعالي معي إذن.

قادته نحو الممر من بين أشجار الصنوبر، ليجداه مليئاً بالطحلب بينما نبات السرخس والخنشار ينميان بجنون من الرطوبة على جانبيه. ولو ترك دون مساس لكان جنة جميلة للنظر، لكنه تسبب منذ فترة في حادثة أليمة. وسمعت كارولا هاري يقول:

- يا إلهي! بكل تأكيد هناك طريق آخر إلى الشاطىء؟

- من جهة الطريق المعبد أجل. لكن لمن يريد التمشي...

عندما شاهد ما يكفيه قاطعها مشيراً إلى وجوب العودة... والعودة تمت بصمت... لكن عندما لامس ذراعها ذراعه فجأة، أجفلت بعنف، وذعرت لإحساسها بقشعريرة جميلة في جسدها. رد فعلها لم يمر دون أن يلاحظه، فنظر إليها نظرة سريعة، عبرت عن الغضب... وشيء آخر... شيء جعلها ترغب بالبكاء الصامت المؤلم، وبقي صامتاً وفجأة سارع الخطى وكأنه يستعجل الابتعاد عنها.

عند أول فرصة، اتصلت كارولا بعمتها لتطلب منها نشر خبر فتح البوابة الجانبية للقصر أمام الجميع، في قاعة الشاي... فسألتها العمة بفضول:

- وما الذي دفعه لتغيير رأيه؟ ربما حادثة الصبي كايلي؟

- إن الحادثة دفعته لقبول اقتراحي.

- اقتراحك؟ من الملاحظ أنك استطعت التأثير عليه.

- ليس لي أي تأثير... بل كان الأمر اقتراحاً مناسباً في الوقت المناسب... لا تنسي إذاعة الخبر.

- اعتمدي علي يا عزيزتي.

صباح اليوم التالي، خلال فترة التدريس، تأكدت كارولا أن الطفلة روزي بحاجة إلى توجيه لتحسين خطها، فهو غير سوي يتدرج من كبير إلى صغير، دون ترتيب. فأمسكت المسطرة لتخطط لها الدفتر وتقدمت نحوها... على الفور انكمشت الفتاة وتراجعت إلى الخلف. فسألتها قلقة:

- ما بك روزي؟

لم تقل روزي شيئاً، لكن عيناها كانتا مثبتتان إلى المسطرة... وهي تتنفس بقوة، بدرت لها فكرة:

- أظننتني سأضربك؟

www.elromancia.com

فهزت روزي رأسها وانفجرت بالبكاء، فجلست كارولا على المقعد الصغير بقربها، وأمسكت يديها الصغيرتين المرتجفتين:

- روزي... لم أكن أنوي ضربك. فما هو السبب الذي يدفعني لضربك؟

- بسبب خطي السيء. فالمربيات الأخريات كن يقلن لي إنهن سيضربنني!

اشتدت ذراعا كارولا حول روزي تحضنانها، متمتمة:

- حبيبتي... أنا واثقة أن تحذيرهن كان من أجل لفت اهتمامك إلى خطك... وما كن ليفعلن هذا مطلقاً.

فزاد بكاء روزي، ودفنت رأسها في صدر كارولا:

- كن رهيبات... كرهتهن!

- من السيء كراهية الآخرين.

ردت روزي بصراحة الأطفال:

- لم استطع منع نفسي. هن جعلنني أكرههن. لم يكن مثلك... فأنت مختلفة.

- أنا سعيدة لاعتقادك أنني مختلفة. فأنا أريدك أن تصدقيني عندما أقول لك إنني هنا لأساعدك بكل وسيلة أملكها... ولا تكوني أبداً خائفة مني، لأنني لن اؤذيك مطلقاً.

رفعت روزي وجهها المبلل بالدموع، ولأول مرة كان خالياً من الريبة، منوراً بابتسامتها الرقيقة. هذه الحادثة شكلت نوعاً من الاختراق النفسي بينما ساعدت على وجود تغيير نوعي لعلاقتهما في الأيام التي تلت... روزي، كأي طفل آخر، تجاوبت مع الحب الذي قدمته لها كارولا، وتفتحت كالزهرة لتكشف ما بداخلها. كارولا لم تذكر شيئاً من تلك التغيرات عندما قدمت تقريرها اليومي إلى هاري بعد العشاء... لكنها أحست أنه مدرك للحالة التي وصلت إليها

الطفلة وأن الأمر أسعده.

بعد عدة أسابيع، لم تعد كارولا غريبة في القصر، كما لم تعد روزي غريبة للعمة ايما بعد زيارتها الأولى التي شملها بعضاً من التوتر. وقالت العمة لكارولا، عندما وصلت مع الطفلة بعد ظهر أحد الأيام.

- هناك شيء أود إخبارك إياه... بعض الملاحظات الشريرة تمر على الألسن منذ سكنك في القصر.

فشهقت كارولا بغضب:

- صحيح؟

فأشارت ايما بيدها دليل فقدان الصبر:

- لن يفيدك أن تمنعيني من الكلام كارولا... فسيستمر الناس في الحديث.

- وماذا يقولون؟ ربما كان من الأفضل أن لا تقولي لي!

- كارولا... لا استطيع الجلوس وترك الناس يتحدثون بالسوء عنك... فهناك حدود لتساهلي.

- ضميري مرتاح عمة ايما. وسيبقى هكذا مهما قال الناس.

- اصدقك، والعديد قد يصدقك. لكن سيبقى من يستمر في الشك.

انقطع الحديث بدخول روزي من المطبخ تحمل قطعة حلوى بالبندق وعلى وجهها علامات رضى كوميدية لم تستطع العمة منع نفسها من الضحك عليها. وقالت روزي متفاخرة:

- هذه ثالث قطعة.

فقالت كارولا:

- والدك سيسلخ جلدي إذا لم تتناولي عشاءك الليلة.

- هل سيفعل هذا حقاً؟

www.elromancia.com

فابتسمت كارولا تتفحص وجه روزي لتنظفه:

ـ لا. لكنه قد يغضب لسماحي لك بتناول الكثير من الحلوى، وفي وقت متأخر من بعد الظهر، وسيكون الحق معه في غضبه إذا لم تتناولي العشاء... أليس كذلك؟

اعتقد هذا.

فوضعت اصبعها تحت الذقن الصغيرة لترفعها نحوها:

ـ لنأمل، لهذه المرة على الاقل، أن يفهم والدك اذا لم يكن لديك قابلية للأكل... اكملي الحلوى ولنذهب الى المنزل.

وتمسكت يدها الصغيرة بتنورة كارولا، التي طمأنتها:

ـ لن اذهب روزي، حتى ولو غضب مني والدك.

ركضت الفتاة راضية الى حيث تقف سيارة كارولا ناسية مخاوفها، وتسلقت الى الداخل لتكمل ما تبقى من حلوى البندق. أمسكت العمة ايما بذراع كارولا وقالت متنهدة:

ـ الطفلة تحتاج إليك... وتركك لها الآن كارثة.

هزت كارولا رأسها بصمت، وعلمت أنها قادرة على الاعتماد على عمتها دائماً، لكن دعمها في هذه اللحظات كان له أهمية خاصة. وأكملت العمة بحنان:

ـ لكن، علي أن أطلق لك تحذيراً هاماً... لا تدعي حبك للطفلة يستعبد قلبك... فالفراق حتمي، وتعلقك بها سيزيد صعوبة الفراق.

بقي تحذير العمة يرن في أذني كارولا وذهنها وهي تقود السيارة عائدة إلى القصر مع روزي. لكنها أصيبت بانقباض حاد خاصة عند رأس معدتها بسبب عصبيتها في التفكير، فالتحذير جاء متأخراً. إنها فعلاً مأسورة القلب ليس بالطفلة وحسب، بل كذلك بهاري موريل.

فمع مقدرتها على إبعاده عن أفكارها نهاراً، كانت تصبح عاجزة عن هذا تماماً في الليل. فهو يقتحم عليها أحلامها، ليسخر منها باستمرار وعليها أن تحصن قلبها ضد القلق وضد هذا الحب المتصاعد. وإلا ستعاني من إذلاله لها... أكثر بكثير مما تتصور.

●●●

www.elromancia.com

٦ ـ الشيطان

صمتت كارولا فجأة عندما كانت تتلو تقريرها اليومي على هاري موريل في إحدى الأمسيات:

ـ سيد موريل... هل هذا حقاً ضروري؟ أليس من المرضي أكثر أن أكتفي بتقرير شهري حول حالة روزي وتقدمها.

استدار هاري عن وقفته المعتادة قرب النار ليواجهها بتعبير مبهم ارتسم على وجهه:

ـ ألديك سبب لهذا الاقتراح؟

ـ روزي تجد صعوبة في بعض الأحيان في التركيز على عملها. وقد انجح في تركيز اهتمامها في يوم بينما قد أفشل في التالي وهذا يتوقف على حالتها النفسية وكذلك على نوعية العمل الذي يختلف من يوم لآخر لهذا السبب أجد نفسي مضطرة لإعطائك مرة تقريراً جيداً وفي الأخرى تقريراً سيئاً.

ـ إذن تعتقدين أنه من الأفضل تقديم تقرير شهري؟

ـ سيكون من السهل علي اعطاؤك صورة عامة ضمن فترة محددة.

تفرس بها هاري بصمت. يداه مدسوستان في جيبي بنطلونه، تعبير متجهم على وجهه. كان من الصعب التخمين بما يفكر، أو تصور رد فعله... لكن واقع ظهوره بمظهر من يفكر باقتراحها، كان أملاً جيداً لها. وأخيراً قال:

ـ ربما تكونين محقة.

ـ أعرف أنني محقة.

ـ لو استطعنا جميعاً أن نملك نظرة سليمة عن الصواب والخطأ، لما كانت الحياة معقدة كما هي الآن... حسناً آنسة وارندر. ليس لدي اعتراض على اقتراحك.

ـ شكراً لك. لكن هناك مسألة أخرى أريد مناقشتها معك... أيمكنك توفير آلة تسجيل لغرفة الصف؟

ـ هناك آلة تسجيل في غرفة الجلوس.

ـ أعرف... لكنني أحب أن أجلس لوحدي أحياناً لأمتع نفسي بالموسيقى. وقد نزعجك لو استخدمنا غرفة الجلوس.

فقطب عابساً:

ـ آنسة وارندر! لقد استخدمتك للاهتمام بتعليم ابنتي، وليس لإضاعة الوقت في سماع الموسيقى الراقصة.

ـ ليس هذا مقصدي سيد موريل. فالاستماع إلى الموسيقى خلال ساعات التدريس أصبح أمراً مطلوباً في هذه الأيام فالموسيقى والأغاني وقصص الأطفال أصبحت جميعها ضرورية في مناهج التعليم.

ـ لكنني لا أوافق على هذا.

ـ أتريد أن يستمر تعليمها بطريقة طبيعية قدر المستطاع، أم لا؟

ـ أجل لكنني لا أرى ما علاقة الموسيقى بالتعليم.

ـ علاقة متينة. إذا لم تكن تريد شراء آلة تسجيل. سأحضر واحدة من منزل عمتي لتسهيل هذا الغرض.

ـ لا...! إذا كانت آلة التسجيل ضرورية، فسننزل إلى القرية غداً لنشتري واحدة مناسبة.

فتمتمت شاكرة وقررت الانسحاب.

ـ كارولا...

توقفت ويدها على مقبض الباب، واستدارت ببطء:

- أريدك أن تعرفي أنني مسرور بالطريقة التي تتعاملين بها مع روزي. وأريدك أن تبقي... ولكن...

- ولكن ماذا؟

- لا بد أنك سمعت الأقاويل في القرية؟

من المحتم أن تصل اسماعه تلك الأقاويل، وتنهدت:

- أجل... سمعتها... لكنني لا أنوي التفكير بها.

- أنا لا أهتم بنفسي كارولا... لكنك أنت لا تستحقين الدس الحقير.

اهتمامه المفاجىء أثار دهشتها، لكنها كانت مصممة أن تبقى ثابتة في قرارها.

- كنت أتوقع الدس عندما قبلت عرضك، وليس لدي النية للانسحاب.

- قد تندمين على هذا.

- لا استطيع ترك روزي الآن. لقد بدأت تثق بي. وتركها الآن سيكون جرماً.

علا وجهه المتجهم تعبير غريب، وتقدم نحوها، شيء ما في عينيه المحدقتين في عينيها ملأها بشعور يؤكد لها بأنها على شفير هوة. وأن هذا الرجل يمسك بحبل نجاتها بقوة، ويدين قادرتين.

- إذا كان هذا هو شعورك، فلن أتطرق إلى الموضوع ثانية... لكن، في أي وقت تودين فيه تغيير رأيك...

- لن أغير رأيي.

- تصبحين على خير كارولا.

صرفه لها كان كمصراعي باب خشبي أقفلهما بعد السماح لها بالقاء نظرة خاطفة على شيء غير واضح. أيمكن أن تكون قد

تصورت ذلك التغيير في وجهه، لسبب بسيط هو أنها تريد أن تراه؟

أبعدت هذه الأفكار عنها، ثم عنّفت نفسها قائلة: أنت حمقاء كارولا وارندر ثم اتجهت إلى غرفة روزي للتأكد من نومها بارتياح.

في اليوم التالي، بعد فترة الغداء، قرر السيد هاري أن يفي بوعده، فأحضر سيارته وتوقف أمام الباب الأمامي، تأهباً للذهاب إلى القرية. جلست إلى جانبه، لتنسى توترها وتسترق النظر إلى اليدين القويتين الرشيقتين اللتين تقودان السيارة... ولم يعد لديها شك فكفاءته في القيادة جعلتها تتصور أنه لو تزوج سيكون بنفس الكفاءة في السيطرة على زوجته.

إذا كان القرويون يتحدثون عن كارولا بالسوء لوجودها في القصر، فقد برهنوا عن الحنكة واللباقة حين أخفوا مشاعرهم عند رؤيتها برفقة مخدومها وابنته، بينما كانت البائعة في المحل مذهولة بفتنة وجوده. واشترى آلة التسجيل دون تردد وبينما كان هاري يدفع الثمن توجهت كارولا وروزي لانتظاره في السيارة.

- كارولا!

أحست بمن يمسك بذراعها وهي تساعد روزي على الصعود إلى السيارة. فاستدارت لترى أمامها الدكتور مارك كيندي.

- كنت بانتظار تلك المكالمة الموعودة حتى كدت أفقد الأمل برؤيتك مجدداً.

أحست بموجة خجل تجتاحها، لقد نسيت تماماً وعدها لمارك بتناول العشاء معه:

- آسفة يا مارك... لكنني كنت مشغولة، وأنت كذلك كما أعتقد. ماذا عن الوباء المعدي المنتشر في القرية؟

نظر مارك إلى السيارة ليتبادل بضع كلمات مع روزي، ثم استقام ليكمل الحديث مع كارولا:

www.elromancia.com

ـ الوباء انتهى الآن. وإذا لم تكوني مشغولة، ما رأيك بمرافقتي الليلة على العشاء؟

ـ أتمنى هذا من كل قلبي مارك... لكن...

توقفت عن الكلام في منتصف جملتها عند رؤيتها لهاري يخرج من المحل، وتقطيبة غضب بين عينيه... وحيا مارك ببرود:

ـ مساء الخير دكتور كيندي... أظنك تعرف الآنسة وارندر؟

ـ أجل إننا صديقان. ولقد دعوتها الليلة على العشاء، إذا لم يكن لديك مانع؟

حبست كارولا أنفاسها لمواجهة الرجلين أمامها... لكن التوتر زال أخيراً عندما رد هاري ببرود:

ـ الآنسة ليست بحاجة إلى إذن مني دكتور. اؤكد لك إنها قادرة على اتخاذ القرار بنفسها.

فرد مارك بسرعة:

ـ انتهى الأمر إذن... سأحضر لآخذك عند السادسة كارولا.

ـ مارك... لا أظن...

لكنه تجاهل احتجاجها ملوحاً بيده، وابتعد، لتجد نفسها تواجه هاري بحرج أكيد. فقال لها ساخراً وهو يفتح لها باب السيارة:

ـ يبدو أنه اتخذ القرار عنك. النساء دائماً مخلوقات ضعيفات لا قرار لهن.

كبحت ردها الغاضب على سخريته، وصعدت إلى السيارة... رحلة العودة تمت بصمت مزعج. جو الاسترخاء بينهما اضطرب منذ لحظة ظهور مارك.

سألتها روزي بعد اسراع جاكسون لمساعدتهما عند سلم القصر:

ـ انستطيع سماع بعض التسجيلات بعد الظهر كارولا؟

فقاطعها هاري بحدة:

ـ من سمح لك بمناداة الآنسة وارندر باسمها الأول؟

فانكمشت روزي، وتدخلت كارولا بسرعة:

ـ أنا أعطيتها الاذن سيد موريل.

فترك الموضوع، وسار إلى صندوق السيارة، فابتسمت كارولا لروزي مشجعة وهما تلحقان به. لكن ما أن دخل الخادم يحمل المشتريات حتى التفت هاري إلى كارولا:

ـ حسناً... بعد رؤيتي أن الأمور ممتازة وودية بينكما... لماذا لا تناديني هاري؟

ـ لا... لا استطيع هذا.

ـ لماذا؟ إذا كنت استخدم اسمك، فلماذا لا تستخدمين اسمي؟

ـ الأمر مختلف... أنت رب عملي.

ـ وإذا أصريت، كرب عملك؟

ـ الأفضل... أن لا أفعل.

شدت روزي بيد كارولا نافذة الصبر:

ـ كارولا...!

ـ اصعدي إلى غرفتك روزي... كارولا... ستلحق بك بعد قليل.

تجهم وجه روزي، لكنها فعلت ما أمرت به، وسارعت إلى الداخل، تاركة كارولا لوحدها مع هاري. وازداد توترها عندما لامست يده مرفقها:

ـ أريد رؤيتك للحظات... ولوحدنا.

لم يترك ذراعها إلى أن وصلا إلى خلوة مكتبته... حتى بعد أن جلسا يواجهان بعضهما عبر الطاولة، كانت لا تزال تحس بضغط يده على مرفقها... قال لها دون مقدمات:

ـ لم أكن أتوقع أن تربطي نفسك كلياً بروزي... كما أنني لا

www.elromancia.com

أهتم كثيراً بتصرفات الدكتور كيندي... ولا أعجبني الاتهام الفارغ بأنني اسجنك في قصر بكلاند.

فهمت كارولا على الفور سبب غضبه، وحاولت التخفيف عنه قدر ما استطاعت:

- الأمر كله غلطتي... دعاني منذ فترة على العشاء آملاً بالموافقة، ونسيت ذلك تماماً. لكنني لا أظن أن الدكتور كيندي كان يقصد التلميح بأنني سجينتك. فالأمر سخيف، وأنا لم أعتبر نفسي سجينة مطلقاً.

فالتوت شفتاه بسخرية:

- إذن أرجو أن تأخذي حريتك في أوقات الفراغ التي تحتاجينها ضمن المعقول، شريطة أن تعلميني بها... وسأطلب من شيلا العناية بروزي... فأنا لا أرغب أن تنقطع علاقتك بالدكتور.

ارتفع الدم إلى وجه كارولا، ثم سارع للانسحاب ليتركها صفراء شاحبة:

- ليس لي «علاقة» مع الدكتور كيندي!

- حسن جداً... لا أرغب في إيجاد شرخ في... صداقتكما. هاك مفتاح للباب الأمامي فيما لو تأخرت.

بعد تردد طويل، أخذت منه المفتاح:

- شكراً لك.

فوقف فجأة:

- بإمكانك الذهاب الآن.

فحدقت به حائرة قبل أن تقف بحدة لتغادر الغرفة. لماذا، كلما صرفها بتلك الطريقة الفجائية، يتملكها شعور غريب بأنه إنما يصفق الباب في وجهها؟ وتوجهت فوراً إلى غرفة روزي.

الأمسية التي أمضتها مع مارك لم تكن كما تمناها. فقد كانت

أفكارها مع روزي، مع خوفها من أن يحدث لها شيء في غيابها، مما قد يثير نقمة هاري فوق رأسها.

قاطع مارك حبل أفكارها وهما يشربان القهوة:

- لا أقصد أن أثير موضوع هاري موريل وابنته، لكنني أود أن أعرف مدى تقدمها.

- إنها في تحسن ملموس.

- أتدركين أنك تفوقت على كل من سبقك من مربيات؟

- هذا ما أعتقده.

- ما سر نجاحك؟

- لست أدري ما إذا كنت ناجحة تماماً. فروزي لا زالت منكمشة على ذاتها... لم تتحدث مطلقاً عن أمها ولا عن أخيها، أو عن الحادثة... لكنها تخفي كآبتها في داخلها. إنني واثقة من هذا... ولو استطعت جعلها تتكلم لأصبحت فتاة مختلفة.

- هل فكرت باستخدام طريقة الصدمة؟

- لا... أتظنها طريقة حكيمة؟

- أنا لست طبيباً نفسياً، لكنني أظن أنها فكرة تستحق التجربة. تعالي الآن... دعينا نرقص.

أمسك بيدها ليقودها إلى حلبة الرقص، وضمّها إلى صدره ضمة عنيفة وأخذا يتحدثان أحاديث بسيطة بعيدة عن المواضيع الشخصية. عادا من سهرتهما الهادئة وهو يوقف سيارته تحت ابراج القصر، أطفأ أنوارها واستدار نحو كارولا... قائلاً باصرار:

- يجب أن أراك أكثر كارولا... أتسمحين لي بأخذك في نزهة إلى الريف بعد ظهر أحد الأيام؟ نستطيع التوقف في مكان ما لشرب الشاي، والتمتع بالمناظر.

رمت كارولا نظرة سريعة إلى الضوء خلف نافذة غرفة النوم،

www.elromancia.com

وكأنما تتوقع أن ترى الستائر تنزاح لتكشف عن مخدومها... فقالت:

ـ أنا... لست أدري.

مد مارك ذراعه خلفها منحنياً إلى الأمام:

ـ لن أقبل رفضك.

ـ حسناً... مارك.

فتحت الباب بسرعة لتبتعد بعد أن أحست بنواياه.

ـ كارولا...

فقاطعته بلطف:

ـ تصبح على خير مارك. وشكراً لك على هذه السهرة الجميلة.

أقفلت الباب ثم ركضت مسرعة فوق درجات السلم قبل أن يستطيع منعها. وسمعته يدير محرك السيارة عند وصولها إلى الباب، فاستدارت لتشاهده يلوح لها قبل أن يختفي.

بعد لحظات كانت في الردهة المعتمة. نور غرفة الجلوس ينير طريقها نحو السلم، لكن قلبها توقف لحظة عن الخفقان حين لاحظت ظلاً طويلاً يتطاول فوق الأرض ليوقف تقدمها.

ـ كارولا.

استدارت لترى هاري يقف بالباب وأكمل:

ـ هل لي أن أراك في مكتبتي للحظات... أرجوك؟

أغلق الباب وراءها، ثم تقدم نحوها وهي تقف أمام النار، وأشار إليها لتخلع معطفها وتجلس.

ـ هل أمضيت أمسية جميلة؟

ـ كانت جميلة جداً... شكراً لك سيد موريل.

ـ هاري! كنت على وشك شرب فنجان قهوة قبل النوم... أتحبين مشاركتي؟

ـ شكراً لك.

اصابتها الحيرة لتصرفه، ولم تتمكن من فهم هذا اللطف الذي يبديه نحوها، لكنها حاولت أن تسترخي وهو يقدم لها فنجان قهوة. مرت الدقائق بطيئة وهما يحتسيان قهوتهما، مع ذلك لم يتحدث هاري. أخيراً، أصبح الصمت لا يحتمل، فاضطرت إلى اقتحام صمته:

ـ أهناك شيء كنت تنوي بحثه معي؟

حدق بها لحظات قبل أن يرد:

ـ سأسافر غداً إلى «هيوستن» لانجاز بعض الأعمال... كان يجب أن أبلغك قبل الآن... لكنني نسيت.

ـ اوه... هل ستغيب طويلاً؟

ـ اسبوعاً على الأكثر... سيهتم الخدم بك وستكونين بأمان.

ـ أنا واثقة من هذا.

ـ لكن، هناك امراً اصرّ عليه، لا أريدك أن تخرجي ليلاً في غيابي.

ـ لن أترك روزي لوحدها مطلقاً.

ـ لكنك سترين الدكتور كيندي ثانية، على ما أعتقد؟

ـ أجل... أظن هذا.

ـ لا تترددي بدعوته إذا احتاجت روزي لعناية طبية، وإذا رغبت في الاتصال بي، هناك رقم هاتف «غوردن دانتون» مسجل في دفتر الهاتف.

ـ غوردن دانتون... المخرج؟

ـ أجل... أتعرفينه؟

ـ لا... لكن كل من يهتم بالمسرح سمع به.

ـ وهل تهتمين بالمسرح؟

ـ كمتفرجة... أجل.

ـ وهل فكرت مرة بالعمل المسرحي؟

www.elromancia.com

ـ يا للسماء... لا! مرة عرضنا مسرحية في المدرسة ولعبت فيها دور الشريرة! ... هل أنهيت كتابة روايتك؟

بدت عليه الدهشة قبل أن يشير إلى أوراق مخطوطة مرتبة على مكتبته.

ـ انهيتها هذا المساء.

ـ ألست سعيداً بانتهائها؟

ـ إنها رواية جيدة... إذا كنت مستعدة للنظر إلى الحياة دون هذه النظارات الملونة باللون الزهري. لقد دونت كل حقدي فوق هذه الصفحات... مما ترك في داخلي فراغاً يستمر عادة عدة أيام قبل أن أبدأ بتجميع غيره لرواية جديدة. أتودين المزيد من القهوة؟

ـ لا... شكراً لك... الوقت متأخر...

ـ استبقيتك اطول مما كنت أنوي.

تقدم إلى حيث وضعت معطفها على ذراع كرسي، فالتقطت حقيبتها ووقفت. كانت تعبة، مصابة بدوار خفيف، وضعف في ساقيها... أيمكن أن يكون هذا بسبب ضغط يديه على كتفيها وهو يلبسها المعطف؟

ـ سأسافر باكراً في الغد. لذا ودعي روزي عني.

اغمضت عينيها لحظات وظهرها نحوه، تحس احساسات محرمة وهو يشدها إلى الخلف لتستند إلى صدره... للحظة قصيرة أحست بأنفاسه الحارة على صدغها، ثم دفعها عنه بلطف باتجاه الباب:

ـ تصبحين على خير كارولا.

غادرت المكتبة دون النظر إلى الخلف، لا تجرؤ على هذا خوفاً من مواجهة سخريته. اجتاحتها موجة خجل عندما أدركت أنه لو لم يدفعها عنه لبقيت قانعة بالالتصاق به... ربما من الأفضل أن يبتعد عنها لبضعة أيام. فسيعطيها هذا الوقت الكافي لتتغلب على خجلها وتجدد قبضتها على عواطفها التي تبدو وكأنها ستنزلق.

لم تكن كارولا تشاهد هاري سوى وقت العشاء وبعده بقليل. لكن غيابه أحدث فراغاً في القصر... وجوده كان يكفي لاعطاء كل يوم معنى جديداً. الأمر سخيف وغير متوقع، لكنها لا تنوي إطلاقاً الغوص تحت سطح عواطفها.

دخلت روزي غرفة كارولا ذات صباح وهي تمشط شعرها. وتسمرت نظرة الطفلة على العلبة العاجية الموسيقية الموضوعة داخل الدرج المفتوح. فقالت لها وهي تلمس حافتها:

ـ هلا جعلتها تعزف ثانية؟

ادارت كارولا المفتاح في مؤخرة العلبة، وتذكرت أول يوم لها في القصر. الآن، والموسيقى الحنونة الشرقية تملأ الغرفة اخذت تراقب الطفلة عن كثب، فلاحظت الاستغراق الكامل في الاستماع. وتوسلتها الفتاة بعد انتهاء الموسيقى:

ـ اجعليها تعزف ثانية... أرجوك كارولا!

ـ ما رأيك بالذهاب إلى نزهة عند الشاطىء هذا الصباح؟

ـ انستطيع هذا؟ هل ستريني كهفك الخاص؟

ـ كهفي الخاص...

وضحكت كارولا لتذكرها كيف حاولت كسب اهتمام روزي بذكرها الكهف الذي اكتشفته وهي طفلة. ثم قالت:

ـ طبعاً سآخذك إلى كهفي الخاص إذا احببت هذا.

شقا طريقهما إلى الشاطىء حيث تتخذ الأرض ارتفاعاً حاداً لتصبح صخوراً مرتفعة... العشب البري، والأحجار المليئة بالأوراق كانت في التربة الرملية أسفل الصخور، وتقدمت كارولا مباشرة إلى حيث تمتد صخرة ضخمة إلى الامام وكأنها السقف المعلق وسط الأخريات. بقطعة خشب، ازاحت أغصان شجيرة شوك، لتكشف عن مدخل كهف صغير لم يكن أكبر من تجويف حفرته مياه البحر عند

ارتفاع المد. فسألتها روزي بتوق وهي تقفز نحو المدخل.

ـ انستطيع الدخول؟

ـ أظن هذا، لكنه ليس عميقاً.

امسكت يد الطفلة ليدخلا. لقد مرت سنوات كثيرة لم تزر فيها هذا الكهف. ولم تكن مستعدة نفسياً لانخفاض السقف الذي لم يتمكن طولها الحالي من التكيف معه. شهقت عندما أحست بضربة حادة على جبهتها، وتمسكت بالجدار. ولمع ضوء اعمى بصرها قبل أن يزول الألم. ثم بدأت ترتجف من الصدمة. فسمعت روزي تقول بصوت مرتجف:

ـ لم أحب المكان هنا... إنه بارد، ورائحته غريبة.

كانت غلطة أن تأتي بروزي، في حالتها المتوترة والفائقة الخيال إلى هذا الكهف العتيق المتعفن الجو... أدركت كارولا هذا والألم يزول ليبقى فقط نبض بطيء من الألم. سيغضب هاري لهذا، لو عرف بابدالهما الدروس بهذه الرحلة الاستكشافية السخيفة.

دون كلمة أمسكت بيد روزي لتعودا القهقرى، وتبدلا الرائحة العفنة للكهف المهجور بالهواء النقي.

اتسعت عينا روزي من الفزع وصاحت:

ـ أنت تنزفين دماً!

رفعت كارولا يدها بسرعة إلى جبهتها، واندهشت لرؤية الدم على اصابعها. فتمتمت بالتطمين ثم غطت الجرح بمنديلها قائلة:

ـ لا تنزعجي حبيبتي. لا بد أنه مجرد خدش. لنعد إلى المنزل حيث أستطيع تنظيفه.

امسكت روزي بيدها قلقة، وعادتا إلى القصر بأسرع ما أمكنهما. وأحست كارولا بالتعب والأرتجاف حال وصولها إلى غرفتها وتفحصها الجرح في مرآة الحمام. هناك خدش بشع تحت خط الشعر على جبهتها لجهة اليسار... بعد تنظيف معظم الدم الذي تجمد،

توصلت إلى استنتاج، مؤلم، أنها تحتاج إلى عناية طبية. فاخذت روزي تنتحب:

ـ إنها غلطتي... أنا طلبت منك الذهاب إلى الكهف.

ضمدت كارولا جرحها، وتجاهلت ثيابها الملطخة بالدم لتجلس على حافة المغطس وتحتضن روزي:

ـ لم تكن غلطتك إطلاقاً روزي... كان يجب أن أتذكر بأنني أصبحت أطول بكثير عن آخر مرة كنت فيها هناك.

ـ لكن...

ـ دون لكن... إنها غلطتي الغبية، لا غلطة أحد... الآن دعينا نرى إذا كان يمكن أن نجد الدكتور كيندي في عيادته.

ـ هل سيقطب الجرح كما فعلوا مع أبي؟

صحيح... لقد نسيت كارولا... روزي لا زالت تحتفظ بذكرى حية للحادثة التي حصلت لهم. وأحست بأكثر من الغضب مع نفسها لتسببها بإعادة الذكريات إليها بهذه الحدة.

ـ لا أظن الجرح خطيراً هكذا... لكن الطبيب سيعرف ما عليه أن يفعل.

لكن كارولا كانت مخطئة، فقد اضطر مارك إلى إزالة بعض الشعر عن جبهتها ليتمكن من تقطيب الجرح. وأصبحت عيناها حمراوان من الألم عندما انتهى... لكنها ابتسمت في وجه روزي لترى أن الراحة حلت مكان القلق. وسألتها روزي:

ـ أتشعرين بتحسن الآن!

ـ كثيراً.

فحذرها مارك:

ـ قد لا تشعرين هكذا في الغد. سيحدث بعض التورم، ويمكن أن يتغير لون الجلد.

www.elromancia.com

فمازحته كارولا:

- لطف منك أن تحذرني أن منظري سيكون مخيفاً في الغد.

فضحك مارك، ولامس خدها باصابع باردة:

- لا يمكن أن تبدي مخيفة مطلقاً كارولا.

اخفضت عينيها بسرعة أمام حدة نظراته:

- شكراً لك مارك. اظن أن علينا العودة إلى القصر قبل أن يفتقدنا أحد.

- سأزيل القطب لك بعد اسبوع. وإذا احسست بالألم خذي هذه الحبوب. ولا تنسي أنني قادم لآخذك في نزهة يوماً ما.

- لن أنسى مارك... وشكراً لك مجدداً.

مرت الأيام ببطء دون أي حادث، سوى ذلك الحادث المؤسف. لكن عند مشوارهما الثاني إلى القرية، زارتا العمة ايما... التي صاحت عندما رأت الجرح في جبهة كارولا:

- يا للسماء... ماذا حدث لك؟

- حادث بسيط... دخل رأسي في الجدار.

فأكملت روزي:

- في جدار الكهف.

- الكهف؟

- لقد ذهبنا نش... نش...

فاكملت كارولا لها:

- نستكشف.

في تلك اللحظة دخلت امرأة تجر كلباً صغيراً وراءها إلى «قاعة الشاي»... فتخلت روزي عن مظهرها الجاد لأول مرة، وهرعت بعينين طفوليتين مذهولتين حقيقيتين لتملس فرو الكلب وتلعب معه. وهمست وهي تركع:

- أتمنى أن يكون لي كلب كهذا.

فالتقت عينا كارولا بعيني عمتها بتفاهم كامل. اخذت ايما الطفلة إلى المطبخ لإغرائها بقطعة حلوى بالبندق بينما اخذت كارولا تتحدث إلى المرأة مالكة الكلب.

السيدة كايلي، كانت والدة الطفل الصغير، الذي اصاب نفسه عندما انزلق فوق الممر إلى البحر... اخبرتها بأن لديها كلبة ولدت ثماني جراء، بقي منها خمسة.

تركت كارولا روزي في رعاية العمة لتقود سيارتها بسرعة إلى منزل السيدة كايلي واختارت جرواً مماثلاً للذي اعجب روزي. وقالت للسيدة وهي تفتح حقيبتها:

- بكم أنا مدينة لك سيدة كايلي؟

- هل الجرو لروزي موريل؟

- أجل.

- خذيه دون ثمن. فبعد دفع السيد موريل كل تكاليف علاج ابني لا يمكنني قبول المال منك.

حدقت كارولا بالمرأة، غير قادرة على تفسير مشاعرها... ثم قالت:

- أنا... لم أكن أعرف هذا.

- لقد تلفظ زوجي بكلمات سفيهة في ذلك الوقت، لكنه ندم عليها فيما بعد، ولم نعد نفكر بالأمر بعدما اتصل زوجي بالسيد موريل واعتذر له، وفوجئنا بعدها باتصال المستشفى بنا لتبلغنا أن المصاريف دفعت بالكامل.

إذن، السيد هاري موريل يملك مشاعر إنسانية... هذا ما حدثت نفسها به وهي عائدة إلى «قاعة الشاي» مع الجرو الصغير الجالس في المقعد الخلفي يتفحص السلة المسطحة التي اشترتها لينام فيها.

www.elromancia.com

قالت لروزي بعد دقائق:

ـ لدي شيء لك في السيارة.

ـ ما هو؟

ـ مفاجأة. تعالي والقي نظرة.

صاحت روزي بفرح شديد وهي تصعد المقعد الخلفي للسيارة وتحتضن الجرو بين ذراعيها:

ـ إنه جرو...! عمتي ايما... تعالي وانظري إلى ما حصلت عليه!

فتطلعت العمة، التي لحقت بهما، إلى السيارة:

ـ يبدو لي وكأنه شيطان صغير.

ـ إذن سأسميه «الشيطان»... هل هو لي؟ حقاً كارولا؟

فابتسمت:

ـ إنه لك... إذا اردتيه.

ـ اوه... بلى... أريده، وأنت تريد أن تبقى معي «شيطان» أليس كذلك؟

ضحكات روزي السعيدة، جعلت المرأتان تنظران إلى بعضهما بابتسام وهما تتذكران نفس المنظر منذ سنوات بعيدة، مع كارولا وكلب مماثل.

ـ حسناً... حان وقت رجوعنا... إلى اللقاء عمتي، وشكراً على عنايتك بروزي.

صعدت إلى السيارة وانطلقت بها بينما لم تكن الطفلة تعي شيئاً سوى صديقها الجديد:

ـ اتظنين أبي سيسمح لي باستبقائه؟

ـ لا أرى سبباً لمنعك من الاحتفاظ به.

فكرة أن يرفض هاري وجود الجرو، لم تخطر ببالها، لكن

الوقت الآن متأخر للتفكير بهذا. فأكملت:

ـ هناك أمكنة واسعة في القصر ليركض الكلب فيها دون ازعاج أحد.

ـ ألا يمكن أن ينام معي؟

ـ الليلة فقط.

امضت روزي طوال بعد الظهر مع «الشيطان» فوق المرجة، واذهل كارولا التغيير الذي حدث للطفلة، التي غالباً ما كانت متقوقعة منكمشة على نفسها، نادراً ما تبتسم... ضحكاتها وهي تتدحرج مع الجرو فوق عشب المرجة سببت فيضاناً مفاجئاً من الدموع سالت من عيني كارولا. عندما اقتربت روزي منها قالت:

ـ أنت تبكين؟

فضحكت كارولا وهي تحتضنها:

ـ هذا لأنني سعيدة لسعادتك.

استلقى الجرو منهكاً تعباً من اللعب الذي لم يتعود عليه، في سلته. ذلك المساء عندما وضعت كارولا روزي في سريرها، تمتمت الصغيرة ناعسة تمد ذراعيها:

ـ كارولا... شكراً لك على هذه الهدية الرائعة.

فهمست لها:

ـ باركك الله روزي.

واستدارت لتطفىء المصباح وتترك الغرفة كي لا ترى روزي الدموع التي اثقلت رموشها.

لم يكن يلزم الكثير من الخيال لتعرف كارولا أن زواج هاري لم يكن زواجاً سعيداً... فاسمها لم يذكر مطلقاً، لا على لسانه ولا على لسان ابنته. وموضوع الحادثة التي قتلتها وابنها، لم يكن الموضوع الذي يرغب أن يتكلم عنه أحد. الحادثة برمتها لفت بغموض آثار ريبة كارولا. هل سبب مرارته خسارته لاحبته، أم أن

هناك أكثر مما يظنه الناس؟ ولماذا حين تتقلب روزي في سريرها مصابة بالكابوس، تصيح متوسلة أن لا تضرب، مقسمة أنها لن تتفوه بكلمة لأحد؟

تنهدت كارولا تمرر يدها على جبينها، لقد استنفذت كل النظريات حول الموضوع، لكنها لم تقترب من الحقيقة مطلقاً، تماماً كما كانت أول ليلة أيقظتها فيها صراخ الصغيرة، ومع أن الكوابيس خفت الآن فالسبب لا زال مختبئاً في عقلها الباطن.

ربما من واجبها بحث الأمر مع هاري... لكنها تعلم أن للمسألة طبيعة شخصية. وقد لا يعجبه أن تتدخل، وهي الغريبة في شؤونه. هل ستفهم يوماً هذا الرجل المليء بالمرارة؟ هل سيسمح لها، أو لأي أحد، من الاقتراب منه ليتعرف على الرجل الإنسان المتخفي خلف قناعه؟

● ● ●

٧ ـ تختار النجوم

بدأ صباح السبت بجو سعيد كالمعتاد. لم يكن هناك دروس تبقيهما داخل المنزل، وكانتا قد قررتا الذهاب إلى الشاطىء للعب فوق الرمال، أو الجلوس على الصخور لمراقبة المراكب المارة على بعد... يومها جن جنون الجرو وهو ينبح على طيور النورس، يطارد أشياء خيالية، يتخبط فوق الرمال ويركلها كالأبله.

خلعت كارولا شالها الحريري من على عنقها لتربط به شعر روزي كما ربطت شعرها قبل ترك المنزل. ما عدا بضع صيادين فوق الصخور بعيداً، كانتا لوحدهما... في البداية بدت روزي غاضبة من الجرو لقفزه فوق قصور الرمال التي كانت تبنيها ليدمرها، لكن الغضب انقلب إلى لعبة استمرت فترة إلى أن أجبرهما العطش على العودة إلى المنزل.

هناك، انقلب كل شيء فجأة إلى ما هو سيء... ركض الجرو عبر المطبخ، ثم الممر، إلى الردهة، روزي خلفه تماماً، وكارولا مقطوعة النفس ضاحكة خلفهما.

إنه مرح بريء... لكن الوضع تشوش على حين غرة. فقد عاد هاري قبل الموعد المتوقع، ووقف يراقبهم، وامرأة في ثياب انيقة تقف إلى جانبه. وماتت ضحكات كارولا على شفتيها وهي تقف جامدة في مكانها. بينما أخذ الجرو يدور حول الشخصين المذهولين،

www.liilromancia.com

وروزي تركض بجنون وراءه. أطبق هاري يده في النهاية على رقبة الجرو ورفعه معلقاً عاجزاً في يده. بينما أمسكت الضيفة بذراع روزي لتجذبها وتوقفها بخشونة. وقال هاري ببرود وهو يمد يده حاملاً الجرو:

- ما معنى هذا؟ ولمن هذا؟

فصاحت روزي دون تردد، وهي تخلص نفسها من قبضة المرأة متقدمة نحو أبيها:

- إنه لي! كارولا أهدتني إياه!

تسمرت عيناه بكارولا وهي واقفة مسمرة في مكانها. وبدا عليه الغضب، بينما بدت الدهشة على رفيقته والفضول وهي محدقة في كارولا، وفي تفاصيل جسدها متأملة مظهرها المزري بالمقارنة مع أناقتها. وسألت المرأة بازدراء:

- ومن تكون هذه؟

وضع هاري الجرو بين ذراعي روزي، وأمرها بالخروج، ثم أشار إلى كارولا وعلى وجهه قناع من الغضب المكبوت:

- هذه مربية روزي... كارولا وارندر. كارولا هذه خالة روزي... دوريس ستيفنز.

إذن هذه هي شقيقة والدة روزي... نظرت كارولا باعجاب إلى بذلتها الخضراء الزمردية الأنيقة... فحولت المرأة ثقلها من ساق إلى أخرى ترفع رأسها إلى الأعلى، وعينيها الخضراوين تقيمان كارولا ببرود، ثم صرفت نظرها عنها وكأنها ليست بذات أهمية، واستدارت لتواجه هاري معلقة:

- إنها صغيرة السن... أليس كذلك؟

أحست كارولا بالغضب يتصاعد في نفسها لمعاملتها لها وكأنها غير موجودة. فرد هاري بطريقة عادية مفتعلة.

- لست أدري.

وأخذت عيناه تجولان فوق جسد كارولا ووجهها مما تسبب في اشتداد احمرار وجهها. وتابع:

- قد تكون صغيرة. لكنها نجحت نجاحاً رائعاً في تجربتها مع روزي.

أحنت كارولا وجهها لتخفي سرورها بهذا الاطراء غير المتوقع منه... لكنها كانت واثقة أن غضبه لم يزل بعد. فتابعت المرأة:

- امرأة مسنة كانت أفضل منها. ألا تظن هذا.

- النساء المسنات من الصعب إيجادهن... وأخذ الوقت يداهمني فلم يعد لدي مجال للانتظار.

فتنهدت دوريس:

- أرجو أن تكون مدركاً ما فعلته. أوه... سأذهب لأرتاح في غرفتي قليلاً.

- أفعلي ما شئت دوريس.

بنظرة أخيرة إلى كارولا، توجهت دوريس إلى السلم... وعادت عينا هاري لتتفرسا بكارولا مجدداً:

- أريد كلمة على انفراد معك آنسة وارندر.

أقفل باب المكتبة وراءهما واستند إليه، ويداه مكتفتان على صدره. ثم قال دون مقدمات:

- لا أذكر أنني سمحت لك باهداء كلب لروزي.

- لا... وأنا آسفة... لكن...

- لكن ماذا؟

- أنت لن تعترض، بالتأكيد؟

- بل أعترض بشدة!

خشونة صوته جعلتها تتراجع، وهو يتقدم ويقول:

- في أولى فترات استقرارنا هنا طلبت مني كلباً... فأوضحت

لها أن هذا أمر مستحيل... ألم تقل لك هذا؟

فقالت كاذبة كي تحمي روزي:

ـ أجل.

ـ أعتقد أنك ظننتني قاسياً دون ضرورة معها؟

ـ لست قاسياً... لكنك لست منطقياً... ربما.

فضاقت عيناه:

ـ ألم يخطر ببالك أنني رفضت لأن عودتنا إلى المدينة أمر محتم؟ ماذا تظنين أننا سنفعل بكلبٍ داخل شقة؟

إنها فكرة لم تخطر ببالها فعلاً... هاري على حق... فالشقة ليست بالمكان المناسب لاقتناء كلب، وهديتها الغبية تسببت الآن بمشكلة كان يمكن أن لا تظهر. فهمست:

ـ أنا آسفة. ساشرح الأمر لروزي وأعيد الجرو إلى أصحابه.

أطبقت اصابعه على ذراعها، فأثار دفؤها دغدغة غير متسامحة. ثم سحبها إلى النافذة حيث شاهدت روزي تجلس تحت شجرة سنديان والجرو نائم بين ذراعيها، وقال:

ـ كارولا... سأجد طريقة لإيواء هذا الجرو... لا يمكننا الآن انتزاعه منها.

ـ أعلم... ولكن...

فقاطعها ساخراً:

ـ لست قاسي الفؤاد كما تعتقدين... أتظنين أنني لا أقدّر ما يعنيه هذا الحيوان لها؟

ردت عليه بعد أن استعادت رباطة جأشها بسرعة:

ـ أعرف أنك لست قاسي الفؤاد كما تدعي أن تكون.

ـ أهناك معنى خفي خلف هذا التعليق؟

أصبح الآن قريباً جداً منها، فشعرت براحة تامة، لكن رائحة دفء جسده، وعطر ما بعد حلاقته، هاجمتا مشاعرها بطريقة مدمرة.

فتحركت مبتعدة عنه قليلاً، لترتاح من توترها الداخلي، وتلمست تمثال نسر نحاسي فوق طاولته. وقالت:

ـ حصلت على الجرو من السيدة كيلي، والدة الطفل المصاب عند الممر.

ـ وماذا في ذلك؟

ـ أخبرتني أنك دفعت فاتورة المستشفى.

ـ والآن تعتقدين أنك وجدت شقاً في دروعي؟

وجهه كان كالصوان وهو يقف إلى جانب النافذة. يده في جيبه والأخرى تمسك سيكارة... قوله هذا لم يشجعها على الرد. مع ذلك سمعت نفسها تقول:

ـ شق صغير جداً... ربما.

ـ كوني حذرة كارولا... وإلا.

لقد خطت إلى منطقة ممنوعة، وعليها الهرب بسرعة:

ـ هل ستبقى الآنسة ستيفنز هنا طويلاً؟

فرفع حاجبيه دهشة:

ـ يومين أو ثلاثة... نادراً ما تبقى طويلاً... لماذا؟

ـ كنت اتساءل... أتحبها روزي؟

ـ لا.

رفعت كارولا رأسها بحدة، فارتسمت بسمة غريبة على شفتيه ثم اكمل:

ـ دوريس ليس لها طبيعتك السمحة مع الأولاد... تفعل ما بوسعها... لكن...

احمر وجه كارولا مجدداً لإحساسها برقته، فهو لم يتوان عن مدحها هذه الليلة وللمرة الثانية. وتمتمت:

ـ الأفضل أن أذهب إلى روزي.

ـ كارولا...

www.elromancia.com

غريب كيف أن رنة اسمها من بين شفتيه كانت تبعث الارتجاف اللذيذ فيها... وأكمل:

ـ شكراً لك.

استدارت لتواجهه مندهشة:

ـ على ماذا؟

ـ على لطفك مع روزي...

ـ أنا مولعة بها.

ـ وأنا واثق أن الشعور مشترك بينكما.

ـ أتمنى أن يكون صحيحاً.

ارادت أن تهرب قبل أن تخونها ساقاها، لكنه استدار لينظر إلى عينيها.

ـ هناك شيء مختلف في شعرك.

أحست وكأنها ستصاب بالإغماء ويده تزيح شعرها جانباً حيث مشطته بعناية ليخفي أثر الجرح. واسودت عيناه.

ـ كيف حدث لك هذا؟

ـ اقترحت أن نذهب يوماً لنستكشف كهفاً قديماً... ولم احتسب جيداً علو السقف.

ـ ما هو مدى الاصابة؟

تلمست أصابعه اللصوق. ثم تسللت إلى شعرها، لتجعل من التفكير السوي أمراً صعباً عليها... فتلعثمت وهي تقول:

ـ لقد... احتجت... بضع غرزات.

فهمس:

ـ يا إلهي... علي أن أوبخك جيداً... لكنني سأكتفي بالقول ان عليك التفكير جيداً قبل اللجوء لمثل هذه الأماكن في المرة القادمة.

صاحت روزي عندما وصلت كارولا إليها في الحديقة:

ـ أعرف ما جاءت تفعله هنا ثانية!

ـ من الطبيعي أن ترغب خالتك برؤيتك أحياناً.

ـ إنها لا تأتي لتراني... إنها تأتي لتبتز والدي.

ـ روزي!

ـ هذا صحيح! لقد سمعتها!

ـ سمعتها؟

امسكت روزي بالجرو لتضمه إليها وكأنه الطفل الرضيع:

ـ أجل... قالت لوالدي إنه إذا لم يعطها المال، فستذهب إلى البوليس وتبلغهم عن شيء رهيب فعله والدي.

أحست كارولا وكأن يد عملاق عصرت قلبها... أهذا معقول أم انه محض اختلاق من مخيلة روزي؟ ربما سمعت هذا خلال حديث متبادل واساءت الفهم، فالأطفال عادة يميلون إلى خلق تفسيرات لأحاديث الكبار. لكن ماذا لو كانت تقول الحقيقة؟ أيمكن أن تكون دوريس ستيفنز تبتز هاري لسبب مجهول؟

ـ روزي... يجب أن لا تقولي لأحد ما قلتيه لي الآن... أتعديني؟

فهزت روزي رأسها:

ـ لم أقل لأحد سواك... أنت فقط.

ـ إذن... فلنبق هذا سراً بيننا... أنفعل؟... والآن تعالي أكاد أموت عطشاً لشرب شيء بارد. ولا بد أن «الشيطان» عطش أيضاً.

قامت دوريس بجهد كبير لتتحدث مع روزي، لكن الفتاة حدقت بعناد وانزواء بطبقها، واجابت بكلمات مختصرة. قد تكون قليلة الأدب في إظهار مدى كراهيتها لخالتها بهذا الوضوح، لكن كارولا كانت مؤمنة بأن دوريس، تتعمد جاهدة إثارة الطفلة لاثبات شيء ما

www.elmuncia.com

لهاري، فقد كانت تنظر إليه باستمرار عندما تفشل محاولاتها في الإثارة. والنظرة في عينيها لا يمكن تفسيرها إلا بالانتصار على هاري.

اشتدت عضلات فك هاري... وعلمت كارولا أنها إذا كانت تريد تجنب مشهد كريه، عليها التدخل... فوقفت بسرعة، وتقدمت إلى جانب روزي، والتقت بنظرة هاري النارية بهدوء.

- كان اليوم متعباً لروزي، وهي تعبة. هل لي أن آخذها إلى غرفتها؟

وتصارعت المشاعر في أعماق السيد هاري قبل أن يقف وينحني لها:

- تصبحين على خير روزي، وقولي لخالتك تصبحين على خير.

أحست كارولا بالجسد النحيل يتصلب تحت يدها، لكنها حركتها بلطف باتجاه المرأة التي جلست تراقبهما بعينين ضيقتين... وكانت روزي شديدة الذكاء في معرفة إلى أي مدى تقترب، ورفعت خدها لدوريس فقبلتها ثم قالت بأدب «تصبحين على خير» ثم عادت إلى جانب كارولا... وقالت دوريس بدهاء:

- ربما نقضي بعض الوقت معاً غداً إن لم تكوني تعبة.

أحست كارولا باشتداد قبضة روزي على أصابعها. وردت متجهمة:

- ربما...

وفيما هما يصعدان السلم التفتت روزي إلى كارولا قائلة:

- لا أريد البقاء معها بمفردنا كارولا.

اخذت كارولا تلعن في سرها دوريس ستيفنز لظهورها في وقت كانت فيه روزي على وشك الشفاء من مخاوفها. وقالت بحزم:

- إذا كنت لا تريدين رؤيتها لوحدكما يا حبيبتي، فلست مضطرة، وهذا وعد مني.

وفي لحظات أخرى، كان الجرو مستسلماً للنوم في سلته داخل غرفة الغسيل، وروزي قابعة في فراشها. أخذت أفكار كارولا طريقها إلى البحث في إمكانية ابتزاز دوريس للسيد هاري... لا بدّ أن هناك تفسيراً منطقياً لقول روزي. لكن كيف ستكتشف الحقيقة دون أن تتطفل؟

كانت أفكارها تدور في دائرة مشوشة عندما قررت الدخول إلى الحمام لترتاح جسدياً وفكرياً. فالأمر بأكمله خارج عن قدرتها، وكلما فكرت أكثر بالأمر، كلما ازدادت حيرتها.

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة عندما توقفت عن محاولة إجبار نفسها على النوم... وخرجت من السرير. فما تحتاجه هو القليل من الهواء النقي. ارتدت معطفها فوق فستان النوم، وزررته. تطلعت إلى غرفة روزي لتتأكد من نومها، ثم فتحت الباب بسرعة ونزلت عبر الممر إلى الباب الجانبي الموصل إلى البرج.

دعسات قدميها المدسوسان في الخف الطري لم تصدر صوتاً فوق الدرجات الحجرية التي تقود إلى البرج. وفي العتمة الخفيفة كان ظلها يعكس صوراً مخيفة على الجدار... لم تكن خائفة، لقد تعودت على الصعود للبرج كلما جفاها النوم... لتجد الهدوء والسكون رفيقين مريحين وتبقى مسترخية إلى أن يبدأ جفنيها بالانطباق على بعضهما من شدة التعب... استدارت عند آخر عطفة للسلم وفتحت الباب الثقيل. واندفع هواء البحر البارد لاستقبالها، فتنفست تنفساً عميقاً تملأ به رئتيها، ثم استندت إلى الجدار المنخفض. القمر كان في اكتمال دورته، نوره الخافت المنعكس على مياه البحر يعطيه لون سجادة فضية لامعة في الليل.

لا بد أن والديها استمتعا بهذا السحر مرات عديدة خلال ترحالهما عبر البحار. كم من مرة جلسا على سطح يختهما ليلاً،

والبحر هادىء والقمر مكتمل، يصغيان إلى صوت همس الأمواج الناعمة على متن يختهما؟ ترى هل عاشا نفس إحساسها الغريب؟ إنهما الآن في سلام مع العالم، وما من أحد... لا بل ما من شيء يمكن له أن يمسهما؟

النجوم كانت مجتمعة في صفحة سماء صافية، قريبة جداً، حتى أنها قد تفكر بأنها قادرة على أن تمد يدها لتمسك بواحدة... ربما... واحدة فقط... لتعطيها لهاري... لتشرح له... حبها؟ لا! أبداً! لكن مليون نجمة فوقها كانت شاهدة على استسلامها للحقيقة.

وسألت نفسها: لماذا هاري؟ لماذا، رجل لم يعد لديه مكان في حياته لامرأة؟ رجل اذاقته الحياة مرارة حتى لم يبق في قلبه مكان للحب؟ لما لا يكون حبها لشخص آخر مثل مارك؟ إنه لطيف رقيق وأضف إنه واقع في حبها. لماذا اختار قدرها أن يوقعها في حب رجل مثل هاري؟

صوت خربشة خفيفة وراءها جعلها تلتفت بحدة، وعلقت أنفاسها في حلقها بعد تقدم من كان موضوع تفكيرها منها، يداه في جيبي روبه السميك.

ـ ألم تستطيعي النوم؟

ـ لا.

ـ ولا أنا. تعودت اللجوء إلى هذا المكان ليلاً عندما أحتاج إلى التفكير.

وجهه جامد في ضوء القمر، الخطوط من الأنف إلى الفم انطبقت لتلامس شفتيه... توق غريب إليه جعلها تستدير عنه وتضع يدها على قلبها، علها تستطيع إيقاف خفقانه المؤلم. وأجبرت الكلمات أن تخرج من فمها:

ـ سأعود إلى الداخل الآن.

ـ أتجدين رفقتي كريهة؟

ـ لا... بالطبع لا!

الكلمات هذه المرة خرجت من قلبها... وأمرها بلطف:

ـ ابقي إذن... من المذهل كم أن النجوم براقة في مثل هذا الوقت من الليل. اتعلمين أن من المستحيل أن يلاحظ المرء النجوم في المدينة؟

ـ ربما لأن الحياة هناك صاخبة جداً حتى أن المرء لا يتوقف لحظة ليتمتع بهدوء وجمال الطبيعة.

أهذا هو صوتها الذي يرد عليه؟

ـ لو كان أمامك الخيار، أتختارين العيش في المدينة أم ستفضلين مكاناً خيالياً هادئاً كهذا المكان؟

إنه سؤال غريب... لكنها أجابت بعد تفكير:

ـ اختار المكان الهادىء.

ـ ولو تزوجت رجلاً في يوم، مهنته تحتم عليه السكن في المدينة؟

ـ أذهب معه... طبعاً.

تفرس بها جيداً قبل أن يسأل:

ـ ألن تعترضي؟

ـ لن أقف في طريقه... ثم أنني...

وعضت على شفتها بقلق، ما القصد من هذا النقاش وإلى أين سيقود؟ سألها وهو يتقدم ليقصر المسافة بينهما مما أثار نبضاتها خوفاً:

ـ نعم؟

ـ عندما... أنت... أنا... تحب شخصاً، فسعادتك تكون

www.elromancia.com

معه... ولن يهمك أين تعيش.

اجابتها المتلعثمة، الصادقة، ألبست وجهه قناعاً من السخرية القاسية.

ـ هذا نبل زائد منك. لكن ما إن تضعي الحبل حول عنق شيطان مسكين، حتى تنسين هذه الكلمات الشاعرية التي تلفظت بها الآن، وسيضطر عندها لفعل ما تريدينه أنت!

صاح قلبها: هاري أنا لست هكذا... لأنني أحبك! لكن عقلها قال بصوت مرتفع حاد:

ـ لو انصاع لأوامري سيكون رجلاً ضعيفاً ولا يستحق أكثر من هذا.

ـ وإذا لم يفعل يمضي ما تبقى من حياته يناضل من أجل مبادئه حتى من أجل وجوده.

كانت تواجه جداراً صلباً، أما هو فكان يغرز سيفاً حاداً في قلب ينبض حباً وحناناً. فهمست:

ـ تجعل الزواج يبدو وكأنه ميدان معركة.

ـ إنه هكذا تماماً. ميدان معركة وعلى الرجل التحلي بالشجاعة في مواجهة تكتيكات النساء الشيطانية.

ـ الزواج ليس هكذا إطلاقاً. ولا النساء شريرات كما توحي.

ـ ألسن كذلك؟

ـ أنت تعلم أنهن لسن كذلك!

تحرك عندها، فتراجعت إلى الحائط تحس بالحافة تغرز في ضلوعها فوق الخصر تماماً... فاحتجزها هاري بوضع يديه على جانبيها فاحست إنها عالقة في الفخ... أنفاسه حركت شعرها، فتسارعت نبضاتها بشكل خطير. كانت في وضع هش، وضعها فيه متعمداً... قربها منه أثار فيها مشاعر حاولت كثيراً أن تكبحها:

ـ أنت لست مختلفة عن النساء الأخريات كارولا. لو أخذتك بين ذراعي الآن. ستذوبين وتصبحين العوبة في يدي... لكنك من الداخل، أنت شيطانة مغوية ماكرة كبقية بنات جنسك.

ـ هذا غير صحيح!

وضع يده على ظهرها، قوية، تطلب الإذعان، يضمها إلى قساوة جسده. خشونة روبه كانت تحت راحتي يديها وهي تحاول دفعه عنها. لكن الضعف شلها وقضى على قواها فقال ساخراً:

ـ أنت ترتجفين.

عناقه لها كان دون رحمة، مطالباً في البداية، ثم أصبح ناعماً عن قصد، يمرر يديه على ظهرها ليوقظ فيها إحساساً لم تعرفه من قبل. كانت تعلم أن عليها مقاومته، لكنها افكار لا فائدة منها وكل عصب من أعصابها كان ينبض بالتجاوب لملامسته. لكن... من الجنون تركه يغازلها بهذا الأسلوب وفي وقت لا يقود سوى إلى تحطيم قلبها... وبهذه الفكرة القاتمة بدأت تقاومه. تأوهت في هدأة الليل، التي لم يكن يقطعها حتى تلك اللحظة سوى صوت خفقان قلبها:

ـ لا... أرجوك لا تفعل!

ـ شفتاك تقولان «لا» لكن جسدك يقول «نعم» وهذا يثبت وجهة نظري إن النساء مخادعات.

استردت وعيها بسرعة، فادخلت الهواء النقي إلى رئتيها عبر حلق آلمها:

ـ ماذا كنت تتوقع مني أن أفعل؟ أظننت أنني سأسمح لك بما تريد كي تؤكد لنفسك أنني ككل النساء، استخدم جسدي للإيقاع بك؟

ـ هل ستنكرين أن الفكرة خطرت لك؟

كان هذا أخطر غرزة سيف، وتخلصت منه بصرخة، لتنزل السلم

www.elromancia.com

الملتوي، وعبر الممر القصير، وغرفة جلوسها، ثم غرفة نومها.

غضبها في تلك اللحظات سيطر على ألمها، فتعلقت به، كغريق يتعلق بخشبة في بحر هائج... إلى أن تغلب عليها النعاس.

بقيت كارولا مبتعدة عن طريق هاري طوال صباح يوم الأحد، لكن من المحتم أن يلتقيا على الغذاء مع ضيفة المنزل، تصميمها على مسح ذكرى ما حدث بينهما، وتصرفاته الباردة، جنباها قدراً كبيراً من الإحراج.

بعد الظهر، كمعظم باقي الأيام، جلست كارولا في غرفة التدريس تحضر عمل اليوم التالي... واندهشت عندما سمعت طرقاً على الباب ودخلت دوريس، لتدخل معها رائحة عطر فاخر. لم تكن كارولا لتتصور أنها مهتمة بحال روزي، فتصرفاتها كانت توحي بذلك عندما أجابتها كارولا على اسئلتها حول الطفلة. إذن، لا يمكن أن يكون اهتمامها هو سبب هذه الزيارة... فالسبب على الأرجح هو وجودها في القصر كمربية لروزي... ولن تضيع دوريس لحظة للوصول إلى الموضوع.

- منذ متى وأنت موظفة عند هاري؟

- أكثر من شهرين بقليل.

- وستبقين إلى أن تصبح روزي قادرة على العودة إلى المدرسة الداخلية؟ لو كان لي يد بالأمر، لقررت عودتها منذ زمن!

لو أن لها يد بالأمر، لما كان لروزي فرصة في دخول منزل أبيها مجدداً... وردت كارولا:

- إذا وجد السيد موريل أنني كفؤة... أجل سأبقى.

- أنا واثقة أنه يجدك هكذا. فهو أبداً لم يكن في وسعه مقاومة وجه أو جسد جميل.

فردت كارولا باشمئزاز ظاهر:

- ليس لمظهري أي علاقة بعملي.

الصوت الأجش تحول إلى السخرية:

- ليس له علاقة؟ هل وقعت في حبه؟

أخذت كارولا ترتجف، لكنها تمكنت من المحافظة على قدر كاف من الهدوء الخارجي:

- انسة ستيفنز، لست أرى سبباً لكل اسئلتك هذه.

صرفت دوريس النظر عن احتجاج كارولا بطريقة المرأة المعتادة على تنفيذ ما تريد وقالت بلؤم:

- لا تراوغي حول الأمر انسة... آه... وارندر. هل وقعت في حبه؟

تصادمت نظراتهما، ورمت كارولا الحذر جانباً لترد بحدة:

- إذا كنت قد أحببته، فهذا ليس من شأنك.

فابتسمت دوريس ابتسامة رضى جعلت كارولا ترتجف:

- اوه... لكنه من شأني يا عزيزتي... أترين... هاري لن يتزوج سواي. لأنه لو فعل، سأحطم حياته.

- بأية طريقة؟

- يا عزيزتي... لقد حاول تسميم شقيقتي مرة، ولو لم أكن معهما وأخذها إلى المستشفى بسرعة، لكانت ماتت يومها. وسمعته كذلك يهدد بقتلها قبل ساعة من الحادثة.

وصمتت، لتترك المجال لحديثها أن يعطي التأثير المطلوب، ثم أكملت:

- بضع كلمات في الاتجاه المناسب يمكن أن تدمره... لو أُعيد فتح ملف القضية واعلنت هذه الوقائع.

أهذا ما سمعته روزي؟ إذاً هناك بعض من الحقيقة في قول روزي البريء؟ هل صحيح أن هاري يدفع لهذه الشريرة المال للبقاء صامتة؟ إنها أفكار رهيبة تفضل عدم التركيز عليها. لأنها تجدها صعبة

www.elromancia.com

التصديق.

- لا يمكنك ابتزاز رجل بهدف الزواج منك، ثم التوقع بأن تجدي السعادة معه.

- لا بد أنك تعرفين آنسة وارندر أنه رجل ثري... وهذا هو الدافع الوحيد الذي أحتاجه لأبقى سعيدة. ومن يمكن أن تكون زوجة أب لروزي أفضل من شقيقة أمها؟

قالت كارولا، بعد أن أحست بموجة خوف تجتاحها:

- يجب أن تعذريني آنسة ستيفنز... لدي عمل أقوم به.

فهمت دوريس أن المطلوب منها الخروج، فوقفت من على الكرسي لتقول بلهجة تهديد واضحة:

- تذكري فقط واقع، أنه لي، آنسة وارندر. وأنت لن يعجبك أن يقترن اسمه بالفضيحة على صفحات الجرائد... أليس كذلك؟

ردت كارولا، وهي تشعر بالغثيان لفكرة أن تكون امرأة بجمال دوريس ستيفنز، سيئة الأخلاق وفاسدة بهذا القدر.

- أظن أنني بدأت أفهم اشياء كثيرة كانت تحيرني في السابق. وأنا شاكرة لك. آنسة ستيفنز.

عطر خفيف في الجو كان كل ما بقي عالقاً ليذكرها بزائرتها... وعادت كارولا للجلوس على كرسيها، تدفن وجهها بين يديها... ما قالته لدوريس صحيح... لقد بدأت تفهم لماذا يكره هاري النساء هكذا، إذا كان المثال لحكمه هي دوريس. هل من الممكن أن تكون زوجته، بجمالها وحساسيتها فوق المسرح، تشبه شقيقتها في الشخصية؟

لم تصدق كارولا مطلقاً أن هاري قد تعمد تسميم زوجته، ولا أنه دبّر الحادثة التي كانت حياته وحياة أولاده في خطر من جرائها. فهو دائماً يسيطر على مشاعره. ولا يمكن أن يكون غبياً لدرجة قتل

أحد في ثورة غضب، أو بدونه. إنها واثقة من ذلك ثقة لا تستطيع تفسيرها.

أفكار كارولا الخيالية، بأنها قد تظهر لهاري في نهاية مشوارها معه معنى السعادة الحقيقية، ماتت ميتة عنيفة قبل أن تبصر النور. قد تكون تمكنت من تخفيف حدّته، أو هز دفاعاته، لكنها لن تتمكن من تحدي القبضة التي تقبض بها هذه المرأة عليه قبل أن تعرف الحقيقة الكاملة... وهو لن يجعلها مطلقاً موضع سره. إنها موظفة لديه... شخص يستطيع إملاء شروطه عليه، أو الافضاء له بنظرياته، أو تسلية نفسه معه إذا أراد، لكنه لن يعتبرها مطلقاً أهلاً لمشاركته مشاكله.

تأوهت وكأن السكين قد التوى في قلبها. مما جعلها تنسى كل شيء ما عدا الألم الذي سرى في جسدها. حب هاري محنة لم تمر بمثلها من قبل. لقد أحبت دايفد خطيبها السابق بطريقة محددة، وارادت الزواج منه، لكن مشاعرها نحوه ليست شيئاً بالمقارنة مع هذا الشوق الغامر والرغبة الحارقة التي تتملكها. كل عصب من أعصابها يبدو متيقظاً لسماع صوته، خطوته، ولمجرد وجوده معها تحت سقف واحد. إنها غبية لسماحها لهذا أن يحدث، مع ذلك لم تكن يوماً نابضة بالحياة، ولا مدركة واقعها كامرأة، أكثر من الآن.

لم تعرف كم بقيت في غرفة التدريس، غارقة في أفكارها، تائهة عما يحيط بها، لكنها قفزت بعنف عندما انفتح الباب دون أن يقرعه أحد... لتسألها روزي بلهجة سلطوية تشابه لهجة أبيها:

- ألن تأتي لتناول الشاي؟

بعد كل أفكارها البعيدة المنال، البعيدة عن المنطق، سؤال روزي بدا لها مرحاً. فدفعت شعرها إلى الوراء وضحكت. لا تستطيع لوم الصغيرة إذا وجدت تصرفها غريباً... إذ كيف لطفلة أن تفهم الآمال المثيرة للاشفاق التي قد يحلم بها الكبار أحياناً... أو سبب الضحك الهستيري عندما يذكر «أمر مهم» مثل تناول الشاي؟

٨ ـ أصابع القمر

عادت دوريس إلى هيوستن بعد نهاية الأسبوع. وبمرور الوقت، أصبحت معتادة على زياراتها المتكررة للقصر. وازدادت ريبتها بأن تكون دوريس الآن أكثر تصميماً من الماضي على إيقاع هاري بين براثنها. كذلك تعودت على تصرفات روزي الغريبة كلما كانت خالتها في المنزل... كانت وكأنها لسبب ما، تخاف منها، وتحس بأمر كريه يظهر تحت قناع الخالة الفاتنة.

خلال هذا الوقت، كانت كارولا تتجنب بحذر البقاء مع هاري لوحدهما، قدر المستطاع... جهودها تكللت بالنجاح وساعدها في ذلك غيابه وسفره الدائم، فقد كان مضطراً إلى التوجه نحو لوس انجيلوس، لانشغاله في انتاج مسرحيته، وهو، كما عرفت، يهتم شخصياً بتفاصيل الإخراج والانتاج، حتى الصغيرة منها.

وبمرور الأيام اعتادت كارولا على ملاقاة مارك كيندي أكثر من ذي قبل... رفقته المريحة لأعصابها كانت ضرورية لتنسيها وجود هاري المتزمت... كان دائماً يأخذها مع روزي في نزهة عندما يكون هاري غائباً. أو يلتقيهما على الشاطىء عندما يكون الطقس دافئاً، أو ينضم إليهما في المنزل، لتناول الشاي قبل المضي في جولاته الطبية. وكانت تقدر هذه الصداقة كثيراً مع أنها تعرف أن مشاعره نحوها كانت أبعد ما تكون عن الصداقة. ورأت أنه من التعقل فسخ هذه

العلاقة، إلا أنها لم تكن قادرة على جرح مشاعره، وكل ما كانت تأمله أن يفهم معنى تصرفاتها، إذ لا يمكنها مبادلته سوى مشاعر الصداقة الحقة.

كانت أشجار الصنوبر ترسل ظلالاً طويلة فوق المرجة بعد ظهر أحد الأيام الدافئة، عندما ظهرت سيارة هاري. لم يكن وصوله متوقعاً قبل اليوم التالي، قفزت روزي بدهشة راكضة لمقابلته، يسابقها جروها الذي أصبح الآن قريباً من الاكتمال ككلب. ووقفت كارولا جامدة تراقبه ينزل من سيارته منتظراً وصول روزي، ليحملها بين يديه ويمرجحها في الهواء ثم ينزلها الأرض بعد حضنها لوقت قصير.

وتقدمت كارولا ببطء. تبلع ريقها بقوة لتزيل غصة علقت في حلقها، مقاومة الدموع التي هددت بالبروز... لقد زالت الحواجز بين الأب وابنته... وسعادتها لا توصف... وأحست بالنظرة المتفحصة التي كان يرمقها بها وهي تخطو فوق الممر المرصوف بالحصى... إلى حيث يقف مع روزي.

ـ هل أنت سعيدة بقدر سعادة روزي لرؤيتي؟

فخفق قلبها بانزعاج:

ـ أتمنى أن تكون قد حصلت على رحلة موفقة سيد موريل.

سخرت عيناه من تحفظها المتعمد، وانحنى لها قليلاً:

ـ كانت رحلة سعيدة... شكراً لك، كارولا.

دخلا المنزل وروزي بينهما، وظهرت شيلا تحمل صينية قهوة أدخلتها غرفة الجلوس، حيث صبت كارولا القهوة، وجلست روزي على الأرض لتقص لوالدها كل ما فعلتاه في غيابه... وبكل براءة لم تغفل واقع قضائهما الكثير من الوقت مع مارك كيندي. وأصغى هاري بتحمل مدهش، كانت عيناه خلالها تلتقيان بعيني كارولا عند ذكر اسم مارك... مما يكفي لإرسال اللون مسرعاً إلى وجنتيها. وعرفت ما

يفكر به، لكن لم يكن أمامها طريقة لمنع هذه الأفكار، فقد تبدو بلهاء... وقال بعد أن توقفت روزي لتلتقط أنفاسها:

ـ لاحظت أن البوابة الجانبية مقفلة.

ـ اتصل أحد المنفذين من مجلس البلدية خلال غيابك... ليقول إن الممر القديم رمم وتم تنظيفه وأصبح صالحاً للاستخدام ولم يعد القرويون بحاجة لاستخدام أرضك. وطلب مني شكرك على صنيعك وستتلقى رسالة شكر رسمية لهذا... ولم يعد هناك حاجة لابقاء الباب مفتوحاً... فطلبت من جاكسون إقفاله.

ـ آه... فهمت.

لم تستطع أن تفهم من تعبيرات وجهه ما إذا كان سعيداً لهذا الخبر أم لا، أم أنه أصبح معتاداً على رؤية الجميع يمرون عبر أملاكه، وانقطاعهم الآن يعد خسارة.

بعد العشاء، عندما انهت ما عليها من واجبات، خرجت كعادتها لتسير على الشاطىء... لم تذهب بعيداً قبل أن تحس أن أحداً يلحق بها. وأن المتقدم منها فوق الرمال هو هاري دون شك. فقفز قلبها ليصل حلقها... وأحست برغبة مجنونة في الركض، لكن هذا أمر سخيف، لا طائل منه، فخطواته العريضة قطعت المسافة بينهما بسهولة... وتلاشت رغبتها في الهرب عندما أطبقت اصابعه على ذراعها العارية وأدارتها نحوه. وقفت جامدة للحظات، تحبس أنفاسها، تتمنى لو تستطيع الاختباء تحت أقرب شجيرة كي تهرب منه. قال لها أخيراً وهو يترك ذراعها:

ـ توقفي عن محاولة تجنبي كارولا.

ـ أنا لا أتجنبك.

ـ بلى... تتجنبينني! كلما اقتربت منك هذه الأيام، تهربين كالأرنب المذعور.

استدارت كي لا تواجه وجوده المثير للاضطراب، حدقت في البحر حيث كان القمر يرسل أشعته ليظهر سحره:

ـ لا فائدة من النقاش معك... فالأمر ينتهي بنا دائماً إلى الجدال.

ـ نحن نتجادل لأنك لا تتقبلين الحقيقة.

فهزت رأسها:

ـ لا استطيع تقبل آرائك المشوهة.

ـ هذا لأنك تفضلين السير وعينيك مغمضتين، تنسجين عالماً من الخيال حولك، كي تتجنبي الحقيقة.

ـ اوه... ما الفائدة؟

ارتفعت يداها إشارة العجز. فأمسكت اصابعه بكتفيها ليديرها ثانية نحوه. لمسته كانت لذيذة بشكل لا يحتمل، قربه منها عذاب كله سعادة... والقمر يشع بلطف على خده المجروح، أحبت متشوقة أن تضع رأسها على صدره، لتحس مرة أخرى بقوة ذراعيه حولها.

لم تستطع فيما بعد أن تفهم ما إذا كانت هذه النشوة الساحرة مردها تأثير القمر أم تفكيرها الجنوني به. لكنها لم تعد راغبة في المقاومة عندما شدها مطالباً بالتجاوب بذراعيه القويتين أكثر فأكثر على خصرها النحيل، حتى أصبحت متأكدة أن ضلوعها تواجه خطر التحطم. فهمست بانكسار:

ـ هاري!

ـ ظننتك لن تتفوهي باسمي مطلقاً.

فتوسلت إليه:

ـ ماذا تريد مني يا هاري؟

ـ حذرتك من أنني بشر... أتذكرين؟ أنت امرأة شهية جداً كارولا... ولست صغيرة... أيجب أن أوضح لك ما أريد؟

www.elromancia.com

كانت يداها لا زالتا على صدره، وأحست بالبرودة وهي تدفعه بلطف لتبتعد عنه...

ـ لا... لا... لا داعي للايضاح... أفهمك تماماً.

ـ و...؟

اختفى القمر وراء غيمة عابرة، فارتجفت لانتشار الظلام من حولهما، وأحست أن هناك نوراً مماثلاً في أعماقها قد اختفى:

ـ أعلم أن هذا الأمر، في مجتمعنا الاباحي الذي نعيش فيه، أمر مباح ومعقول. لكنني لا استطيع منح نفسي لرجل ما لم أكن أحبه، ويبادلني الحب... أنا آسفة.

وقف هاري جامداً... وأحست بالسرور لأنه لن يتمكن في العتمة من رؤية البؤس المرسوم على وجهها... ثم سألها:

ـ ما هي اللعبة التي تلعبينها كارولا؟

ـ ظننتك تعرف الكثير عن النساء.

مرت الغمامة لحظتها، فلمعت عيناه في ضوء القمر:

ـ أما أنا فلا أظن أنني التقيت بمن هي مثلك من قبل.

ـ لكنك قلت لي مرة إنني مثل كل النساء، مخادعة شريرة.

ـ قد تكونين هكذا... لكن لا يعني هذا أنك أقل شهوة.

ـ اوه... أرجوك!

استدارت عنه غاضبة، لكنها تعثرت بشيء. فأطبقت يداه عليها كي لا تقع، ثم التفت اصابعه على معصمها لتجرها إليه. رفعت يديها لتبعده، لكن ما أن أحست بدفء جسده، وسرعة خفقان قلبه على راحتيها حتى ترددت... فمه أصبح على شعرها، ثم أخذ ينخفض حتى أصبح على كتفها، مما أصابها بضعف غريب أحست به في ركبتيها، وأشعل ناراً متأججة في عروقها فتوسلته:

ـ هاري... لا تفعل هذا!

ـ أنت ساحرة وضوء القمر يعكس جمالاً رائعاً على شعرك. رائحتك كرائحة الورود المبللة بالندى الصباحي.

تصاعد صوت البحر ليصبح ضجيجاً يصم أذنيها، يهدد بإغراقها، وقامت بمحاولة أخيرة يائسة لتحرير نفسها من السحر الذي ألقاه عليها. فشهقت:

ـ أرجوك... يجب أن أذهب الآن!

أخذت ترتجف وهي تقاومه... ودون توقع، تحررت، فتهاوت على قدميها قليلاً. وبقلب يركض لاهثاً أحست أنها على وشك الاغماء. وسمعته يقول بخشونة وصوته يضرب كالسوط على أعصابها المتوترة المرهفة، التي لم تستعد بعد اتزانها:

ـ أجل... اذهبي كارولا... اذهبي قبل أن أفقد اتزاني تماماً... وفي المرة القادمة التي تقررين فيها التمشي تحت ضوء القمر، اعلميني بهذا كي ابتعد عن طريقك.

هربت كارولا مسرعة فوق الرمال الناعمة، وأضاعت طريقها عن الممر الصحيح، حتى أنها كافحت العشب المرتفع وكادت تقع عدة مرات قبل أن تصل المنزل... ما إن وصلت غرفتها حتى كان حلقها يشتعل ناراً، فرمت نفسها فوق السرير بعد أن انهارت ساقاها تحتها، بينما كان قلبها يخفق بسرعة حتى أن أنفاسها كانت تخرج شهيقاً عبر فمها المفتوح.

كادت في الواقع تستسلم للرغبة التي أثارها فيها. إنها فكرة مؤلمة... فإذا لم تمتلك قلبه، فهي لا تريد شيئاً منه. ستحبه دائماً... لكنها لا تريد لذكرى حبها أن تتلطخ بعلاقة ليس للقلب فيها دور ولذكرى لن تدوم إلا لمرحلة قصيرة، محكومة بمزاجه المتردد أو لمتطلبات دوريس التي تلقيها بقوة في وجهه.

تأوهت ووجهها مدفون في الوسادة.

www.elromancia.com

- يا إلهي! أيجب أن أعيش حياة لا أعرف فيها سوى الألم والوقوع في حب لا حكمة فيه؟

الدموع انهمرت بارتياح، وتقبل... لقد خسرت الكثير في حياتها: والديها، دايفد وأخيراً هاري الذي لا تحتل مكاناً في حياته لكن ذكر اسمه، صوره في الصحف، أو شخص اخر يشبهه، كلها اشياء ستبقى تذكرها بحبها الحي... حب لن يساعدها على الراحة، عندما تتملكها الوحدة.

الغريب في الأمر، إنها نامت دون صعوبة تلك الليلة... لتستيقظ مجفلة بعدها بساعات عندما هز أحد كتفيها. مدت ذراعها لتضيء المصباح أمام السرير، فوجدت روزي واقفة قربها، وخديها مبللين بالدموع. حدقت بها يغلب عليها النعاس وفجأة هبت مستيقظة.

- روزي... ما الأمر؟ أكنت تحلمين؟

هزت روزي رأسها ثم دفنت وجهها في كتف كارولا، وعادت الدموع تتدفق من عينيها ثانية:

- أنا خائفة كارولا.

- ما الذي أخافك حبيبتي؟

- لا أستطيع أن أقول لك. لقد وعدت أمي أن لا أقول لأحد.

التفت يدا كارولا حول جسد الفتاة الصغير، وضمتها لفترة طويلة دون كلام... لم يحن بعد الوقت المناسب للاستفسار عن الماضي. لكنها علمت دون شك أن هذه الطفلة المسكينة لن ترتاح قبل أن تفشي عن السر الرهيب.

أرجعت كارولا خصلات شعر روزي إلى ما وراء اذنيها لتكشف عن وجهها المضغوط بقوة على كتفها وقالت بنعومة:

- روزي حبيبتي... أحياناً الوعود يجب أن لا تنفذ عندما يكون

هناك سبب جيد. إذا كان الوفاء بالوعد الذي قطعناه يجعلنا تعساء فمن الأفضل عدم الالتزام به. قطعت وعداً لأمك، وذلك الوعد يجعلك مريضة تعيسة... كما يتعس والدك. هل تفهمين ما أقول حبيبتي؟

- لكن أمي قالت إنها ستضربني.

- أمك لن تستطيع ضربك الآن حبيبتي، ولو علمت كم أنت تعيسة لما غضبت منك لنكوثك بوعدك.

بدأت مخاوف وشكوك روزي تتبدد أمام نظرة كارولا الثابتة... لكن خلال أشهر من الصمت الطويلة، عانت الصغيرة من جهد كبير للتحدث عن الأشياء التي كانت تطارد أحلامها لدرجة الهستيريا. فبدأت القصة مترددة في البداية، ثم اندفعت، فأصغت كارولا إليها برعب يتصاعد إلى أن استلقت روزي منهوكة القوى بين ذراعيها.

استطاعت والدتها أن تقنع والدها باصطحابها مع الأولاد ليلة الحادثة لحضور حفلة تقام في منزل أحد الأصدقاء في الريف... كان في الحفلة العديد من الضيوف وبعد أن وضع الأولاد في الفراش، نام جون، شقيقها، دون وعي، لكن روزي استيقظت على أصوات في الغرفة المجاورة... فاعتقدت أنهما والديها قد قررا العودة للمنزل. فدخلت الغرفة الأخرى لتجد أمها نصف عارية بين ذراعي رجل غريب. منظر العراء لم يؤثر كثيراً على الطفلة، بقدر ما أثر بها وأربكها قبلات أمها لرجل غير أبيها.

غضبت الأم لرؤية روزي، فأظهرت قساوتها وهي تجبرها على الوعد بالصمت. وهنا فهمت كارولا لماذا كانت روزي تصرخ في منامها متوسلة أن لا تضرب، مقسمة أن لا تقول كلمة لأحد. هذه الحقيقة الجديدة ملأت كارولا بالغضب الحاقد على الأم المسؤولة.

وبينما كانت الأم تمارس عقابها الخالي من الشفقة على ابنتها،

www.elromancia.com

غادر الرجل الغرفة هارباً، مما زاد غضب المرأة... ودخل هاري في هذه اللحظة ليرى هذا المنظر، وحصل شجار بينهما تسبب بمغادرتهما الحفلة باكراً. وبسبب تعبها من الضرب الذي تلقته من أمها، نامت روزي دون وعي في المقعد الخلفي للسيارة ورأسها على جحر أخيها النائم بدوره ورأسه إلى مؤخرة المقعد... لهذا، لم تعرف ما هو سبب الحادثة، لكنها استيقظت لتجد نفسها في أرض السيارة وجون ممدداً في المقعد الخلفي، بارد، عندما لمسته، وتذكرت أنها غطته ببطانية. والدها كان فاقد الوعي ينزف دماً فوق المقود، بينما لم تجد أثراً لوالدتها في السيارة التي اعتبرت مفقودة في خندق ماء. وهزت والدها وأخيها محاولة التحدث معهما لكنها لم تتلق جواباً فصرخت، مولولة، وخرجت من السيارة لتجلس على حافة الطريق، تبكي بهستيرية، إلى أن مرت سيارة وتوقفت قربها. بعد ذلك، لم تعد تدري ما حصل فكل شيء أصبح مبهماً لها، وهنا أيقنت كارولا أن الطفلة لحظتها فقدت الوعي.

وهكذا ساهمت الحادثة الفاجعة، وقبلها تعرض الطفلة للضرب الموجع، في إخلال توازنها... هذا ما أدركته كارولا وهي تنظر بإشفاق إلى الطفلة المستلقية بين ذراعيها... فقالت لها بلطف ومرارة:

ـ لكنك لم تعودي خائفة... أليس كذلك روزي؟

ـ قليلاً... لكنني لن أخاف مطلقاً إذا بقيت معك... أيمكن أن أبقى معك كارولا؟

ـ بالطبع.

وحملتها لتشاركها فراشها، اطفأت المصباح وجمعت الجسد الصغير المرتجف إلى صدرها وقبلتها.

ـ انتهى كل شيء الآن حبيبتي. لا حاجة للخوف ثانية، نامي

واحلمي باشياء جميلة نستطيع فعلها في الغد.

فهمس صوت صغير ناعس بصدق جعل الحرارة تتدفق في جسد كارولا:

ـ أحبك أكثر من أي شيء آخر كارولا.

ترقرقت الدموع في عيني كارولا وهمست لها:

ـ وأنا أحبك روزي حبيبتي. كثيراً.

افشاء السر، أزاح حملاً ثقيلاً عن كاهل الطفلة لذا استيقظت صباحاً متألقة لتعود طفلة سعيدة قانعة. الصمت الطويل الكئيب أصبح من الماضي، وأخذت تتكلم بحرية مع كارولا عن كل الأفكار التي تراودها. اكتسبت كارولا نظرة جديدة مؤثرة على حياة الأب وابنته فهي دائمة الاصغاء... ولم تكن روزي تعي ما تسببه لها ببراءتها، وتعليقاتها الطفولية.

لم تستجوب كارولا الفتاة مطلقاً... مفضلة أن تخرج منها المعلومات بشكل طبيعي... وحرية الكلام كان أمراً جديداً بالنسبة لروزي. مما أدى إلى تطور، وتقدم مذهل في عملها التعليمي. كانت روزي طفلة ذات مخيلة رائعة، وأظهرت اهتماماً كبيراً بالتسجيلات التي أمنتها لها كارولا... فكانت تصغي إلى الموسيقى والقصص لتعطي تعليقاتها فيما بعد. والتعليقات أصبحت مركزة في النهاية، ولم تحاول كارولا ردعها. فالأطفال في سنها بحاجة للتعبير الحر عن أنفسهم، ولطالما ذهلت كارولا بالطريقة التي تروي فيها الفتاة قصة ما، تبرزها إلى الحياة بايماءات حية تظهر عن موهبة كبيرة عند فتاة صغيرة.

دخل هاري صباحاً دون توقع إلى غرفة الدرس بينما كانت روزي تروي قصة الدببة الثلاثة... فأدركت كارولا على الفور أن شيئاً رهيباً قد حدث. وجهه أبيض، الجرح على خده ينبض باللون

الأحمر، وعيناه مسودتان من الغضب، مما جعل دم كارولا يتجمد في عروقها. وصاح بروزي:

ـ ماذا تفعلين وحق الشيطان.

فتوقفت الصغيرة في منتصف جملتها، مرتبكة محتارة، خائفة من نبرة صوته.

ـ هاري... سيد موريل... لا سبب لك كي...

ـ هل هذه فكرتك؟

أجفلت كارولا وتراجعت إلى الوراء، فأخذت روزي تبكي عندما شاهدته يمسك بيد كارولا. صوت البكاء كان له تأثير متعقل على هاري، فتنفس بحدة، وتمتم بشيء غير مفهوم. وجلس على الأريكة ليأخذ روزي بين ذراعيه.

ـ لا تبكي يا طفلتي... لم أقصد إخافتك.

ولم يكمل شرحه لسبب غضبه. لكن روزي هدأت لكلامه، فدفنت رأسها في كتفه، ولفت ذراعيها حول عنقه. لكن عيناه اللتان نظرتا إلى كارولا لم تفقدا شيئاً من الغضب.

وتلاشت دموع روزي، ثم ضحكت لشيء قاله لها أبوها. لكن كارولا كانت متوترة جداً لذا لم تنتبه لما قاله وأخيراً وقف ينظر إليها والتوتر بادٍ في كل خط من خطوط وجهه:

ـ أريد رؤيتك في مكتبي بعد الغداء فوراً.

الصباح فقد بهجته وأقفلا زر آلة التسجيل وساد الصمت الغرفة. ولكنهما استمرتا في العملِ بأشياء أكثر أهمية. ركزتا على علم الحساب الذي لم يكن مفضلاً لدى روزي فهناك مواضيع أكثر أهمية.

عندما لملمت شيلا أطباق الطعام... علمت كارولا أنها لن تستطيع الآن تجنبِ المصير المحتوم. فتركت روزي في فراشها، ونزلت، لتقف قليلاً خارج المكتبة تمرر يدها بتوتر فوق شعرها ثم

قرعت الباب. فسمعته يصرخ من الداخل:

ـ ادخل.

دخلت لتجده واقفاً وراء طاولته:

ـ اجلسي.

فجلست على أقرب كرسي لها، لكنه بقي واقفاً متجهم الوجه.

ـ من أعطاك الحق في تشجيع روزي على التمثيل الذي شهدته هذا الصباح؟

ـ لا أحد... سيد موريل... لكن...

ـ لم أطلب منك تعليمها فنون التمثيل مع غيره من مواد التعليم... وهذا يجب أن يتوقف على الفور.

ـ لكن...

ـ على الفور... أتسمعين؟

واستدار من وراء طاولته ليقف أمامها كأنه يهددها. أضاءت عضلات فكه تتحرك بوحشية، لكن كارولا رفضت أن تقبل التهديد.

ـ لو شرحت السبب لاستطعت أن أفهم.

ـ لست مديناً لك بأي شرح من أي نوع... افعلي فقط ما أقوله لك.

ـ لكن هذا غير معقول سيد موريل.

ركزت نظرها على تمثال النسر الحائم بدلاً من الاضطرار إلى النظر إليه وأكملت:

ـ إن أكثر شيء طبيعي لفتاة بمثل سنها أن تلعب ألعاباً حية وتمثل مواقف محددة.

فسألها ساخراً:

ـ صحيح؟ لا بد أن هناك طريقة أخرى كي تعبّر فيها عن نفسها خارج نطاق التمثيل.

ـ لكنها فتاة موهوبة، ولا عجب أن يكون لها هذه المقدرة...

ولست أرى سبباً لكبح هذه الموهبة...

لم تكن كارولا تتوقع ما حدث، فقد لوى معصمها في يديه بطريقة بعيدة عن اللطف. وجرها على قدميها. وقال والكلمة تخرج من بين أسنانه:

ـ هذا يكفي! لن أسمح بتشجيعها على هذا بأية طريقة... هل أوضحت ما أقول؟

ـ واضح تماماً سيد موريل.

لم تستطع تحمل الألم في معصميها، ولا قربه الشديد منها... تركها فجأة، فترنحت، ممسكة بطرف الطاولة خوفاً من السقوط، بينما أخذت تنظر بغضب إلى الآثار الحمراء التي تركتها اصابعه... في الغد ستكون آثارها أكثر وضوحاً لتذكرها بهذه المجابهة. ثم قال بحدة، متجاهلاً إياها ومتجهاً وراء الطاولة ليجلس:

ـ بإمكانك الذهاب.

ـ قبل أن أذهب، هناك شيء أريد قوله سيد مارك... روزي لم تبلغ الثامنة بعد... عندما تبلغ سن الرشد ستقرر بنفسها العديد من الأعمال قبل أن تجد ما يناسبها... وبإظهارك الاعتراض قد تجعل من مهنة التمثيل تبدو أكثر جاذبية لها.

فسخر منها:

ـ علم نفس آنسة وارندر؟

ـ لا... بل منطق سليم.

ظلته لحظات سيرد بقساوة، لكنها سمعته يقول:

ـ لقد قلت كل ما أريد قوله في هذا الموضوع.

بعد عشاء تلك الليلة، عادت إلى غرفة جلوسها، بعد أن وضعت روزي في الفراش، ووجدت هاري يجلس على مقعد مريح. فخفق قلبها بعنف، لكنها تمالكت نفسها. وقالت بهدوء:

ـ أكنت تنتظر لتقول لي شيئاً ما؟

ـ هذا لك؟

مد يده بكتاب شعري صغير كانت تقرأه قبل العشاء. فهزت رأسها، تبتلع ريقها بصعوبة وهو يفتح الكتاب.

ـ قرأت فيه الاهداء «حبي دائما... دايفد» هل كان حبيبك؟

ـ لا... بل كان خطيبي.

ـ كان؟

ـ قتل إثر انفجار لغم على حدود جنوب افريقيا حيث كان يعمل جندياً في جيشها... وكنت أنا أنفذ عقد وظيفة للتعليم.

ـ أتودين إخباري بالأمر؟

ـ ليس هناك الكثير لأخبره. أنا وهو التقينا في منزل صديق مشترك هناك... ونشأت بيننا صداقة... أحبني، وظننت أنني أحببته. فأعلنا الخطوبة. وعينا موعد الزفاف واستأجرنا الشقة، إلى أن...

ـ إلى أن قتل.

ـ أجل. عندما مات ظننت العالم انتهى، ولهذا قررت انهاء عقدي هناك والتفتيش عن عمل في مكان آخر.

ـ والآن اكتشفت أنك لم تحبيه مطلقاً.

ـ أجل... أحببته... وأظن أننا كنا سنسعد معاً.

ـ ولكن؟ أظن أن هناك «ولكن»؟

رفعت كارولا نظرها نحوه وقد اسودت زرقة عينيها:

ـ أدركت الآن أنني أحببته حبي لأخ حنون. لا كما يجب أن تحب المرأة رجلاً تتمنى الزواج منه.

ـ إذن لقد حصلت على خلاص محظوظ.

ـ إن ما تقوله كريه جداً فلا يمكن للخلاص المحظوظ أن يكون على حساب حياة الآخرين.

www.elromancia.com

ـ ها أنت تراوغين ثانية.

فوقفت بحدة... هل هي مراوغة؟ ما الذي يمنعها من الاعتراف بحقيقة مشاعرها وهل تخاف أن تتفوه بها؟ لا! إنها تعرف الآن أن زواجها من دايفد كان غلطة سترتكبها... لكن التفكير بأن موته كان وسيلة خلاص لها، ترك في نفسها طعماً مراً... إنه طعم الحقيقة!

فتنهدت بتعاسة:

ـ أنت محق، كما أعتقد. كنت أحاول تجنب الحقيقة.

فضحك، ولاحظت أن الضحكة لم تصل إلى عينيه:

ـ على الأقل اتفقنا على أمر مشترك. أكان هناك رجل محدد جعلك تدركين أنك لم تحبي دايفد؟

ـ أيجب أن يكون هناك أحد؟

ـ الأمر عادة هكذا... أهو مارك؟

ـ اوه... لا! لن أتمكن مطلقاً...

اختنق صوتها في حنجرتها وهو يضع الكتاب على ذراع مقعده ويقف.

ـ لن تتمكني مطلقاً... من ماذا؟

فهمست مقطوعة النفس:

ـ أن أحب مارك.

ـ هل أنت واثقة جداً من هذا؟

ـ أجل... واثقة جداً.

نظر إليها متفرساً قبل أن يستدير نحو النافذة... لون قميصه الكحلي يزيد من سمرة بشرته وتناسق عضلات جسده. كما كان يحيط نفسه بهالة مراوغة لم تستطع فهمها. وقال أخيراً:

ـ حول موضوع نقاشنا اليوم... بإمكانك الاستمرار في توجيه روزي كما ترينه مناسباً.

هذا التنازل كان مفاجئاً لها... ما من شك أنه أمضى الكثير من الوقت يدرس المسألة، ووجد صعوبة في الاعتراف بخطئه...

ارتسمت بسمة رقيقة على شفتيها وهي تمرر عينيها بحرية على ظهره، ورأسه الأسود الشعر... لم تحبه مطلقاً كما تحس الآن... واستلزمها جهد كبير لتمنع نفسها عن التقدم إلى جانبه. دون أن يستدير سألها:

ـ حسناً؟

ـ شكراً لك سيد موريل.

استدار ليواجهها ونظرة شك في عينيه:

ـ أهذا كل ما لديك لتقوليه؟

ماذا كان يتوقع يا ترى؟ وسألته:

ـ ما الذي جعلك تغير رأيك؟

فابتسم:

ـ على عكس ما قد تظنين... أنا استمع أحياناً إلى نصيحة تعطى لي حتى ولو أتت من فتاة مثلك.

ـ هل سيريحك لو وعدت أنني لن أشجعها كثيراً، وأن أتعامل مع الأمر بشكل طبيعي؟

ـ لا أريد تغيير عملية تعليمها مطلقاً، واعترافي كان مبنياً على أسباب شخصية. ولم يكن لي الحق في فرض رغباتي عليها.

أخذ يجوب الغرفة قلقاً، لتدرك كارولا كم عانى ليتفوه باعترافه:

ـ روزي شخصية مستقلة لها حقوقها، ستقرر يوماً لنفسها ما تريد... أما أنا فآمل أن أتمكن من مساعدتها لتبتعد عن عالم التمثيل، لكن في النهاية سيكون الخيار لها.

توقف أمامها فجأة لينظر إليها ساخراً:

ـ خطابك الصغير أعطاني الكثير لأفكر به.

www.elromancia.com

لوحت كارولا بيديها تصرف النظر عن كلامه، لكنه أمسك بيديها ليتفحص أثر أصابعه على معصميها. وسألها بدهشة:

ـ هل سببت أنا لك هذا؟ أحياناً يغيب عن ذهني أن النساء سريعات الإصابة بالرضوض.

لم تكن كارولا مدركة لما يجب أن تفهمه من ملاحظته تلك. لكن المداعبة الرقيقة لاصبعه فوق معصمها، سببت مشاعر أوجدت صعوبة في تجاهلها... هل لاحظ تسارع نبضاتها يا ترى؟

يجب أن تبتعد عنه، فقد أحست بإحساس قريب من الذعر... لكن كيف؟ لمسته وقربه منها يجبرانها على التصرف بغباء... وفي هذه اللحظة بالذات، ترغب في عناقه أكثر من أي شيء في العالم.

ـ أنت ترتجفين... هل أخيفك إلى هذا الحد؟

بالفعل كانت ترتجف... أغمضت عينيها للحظة، لتبعد صورته عنها جاهدة في السيطرة على نفسها:

ـ ربما أنا متعبة قليلاً... لقد كان يوماً طويلاً شاقاً.

فتركها وقال:

ـ أجل... هكذا كان. تصبحين على خير كارولا.

لمسته كانت لا تزال تدغدغ معصميها... لكنها الآن وحيدة وتحس بالبرد الشديد فجأة... وجوده المسيطر لا يزال مهيمناً بشكل محسوس في الغرفة... وتمنت ببلاهة لو تستطيع التقاط هذا الوجود لتلف به نفسها كالعباءة.

●●●

٩ ـ رجل أسير

مرت ثلاثة أسابيع مشحونة بالاضطراب، زار فيها غوردن دانتون، المخرج المسرحي قصر بكلاند مرتين. وبالرغم من أنها لم تدر كيف حدث هذا، إلا أنها وجدت نفسها تقوم بدور المضيفة لضيف هاري، الذي تقبل وجود كارولا بدماثة خلق، أثارت إعجابها واحترامها.

كان رجلاً طويلاً في الأربعينات، نحيلاً قليلاً، شعره الأسود أخذ يتلون بالرمادي بسرعة عند الصدغين. مميزاً، مما سهل أمر تعارفهما... كان صاحب سلطة قائمة بذاتها في عالم المسرح. رجلاً يعرف تماماً كيف يحصل على الأفضل من النساء والرجال الذين يمرون تحت يده. لكن بالرغم من مظهره الموحي بالرهبة، كان رجلاً دافئاً جداً ومتعاطفاً. هذا ما اكتشفته بعد زيارته الثانية للقصر.

في إحدى الأمسيات قدمت كارولا القهوة على الشرفة، دون أن يكون في نيتها البقاء طويلاً، لكن الأنوار انطفأت فجأة، لتحيط بهم العتمة الكاملة. وظهر جاكسون يحمل مصباحين، وكأنه كان يتوقع ما حصل. بعد وضعه أحدهما على طاولة صغيرة، اختفى مع هاري داخل المنزل لإصلاح علبة الموصلات الكهربائية، فبقيت كارولا لوحدها مع غوردن، الذي طرح عليها سؤالاً دون سابق انذار:

ـ أنت تحبينه... أليس كذلك؟

ارتجف الفنجان الفارغ في يدها مهدداً بالوقوع. لكن غوردن

www.elromancia.com

سارع إلى تهدئة يدها بمهارة مدهشة، أرسلت اللون الأحمر إلى وجنتيها. وقال بهدوء:

ـ لا فائدة من الانكار عزيزتي. لك عينان معبرتان أخبرتاني بأكثر مما قد ترغبين في قوله.

فتنهدت يائسة، وقد تلاشت منها الرغبة في إنكار الحقيقة:

ـ اوه يا عزيزي... هل أنا شفافة إلى هذه الدرجة؟

ـ بالنسبة لي أجل... فعملي يرتكز على معرفة الناس. لكن مشاكل هاري تشغله كثيراً عن ملاحظة ما حوله، وما عنده واقع إنك امرأة جميلة. أحياناً، أعتقد أنه يلزمه هزة أرضية لتدمير الجدار الذي أقامه حول نفسه. أنت لم تلتق بزوجته الأولى... أليس كذلك؟

ـ لا... لكنني رأيتها على المسرح مرة أو مرتين... كيف كانت؟

ـ على المسرح كانت أبرع الممثلات اللواتي ساعدني الحظ أن التقي بهن. خارج المسرح، كانت مدمرة كالأفعى التي قتلت كليوباترا. ما من رجل متزوجاً كان أم لا، يمكنه مقاومتها، وفي السنوات الثلاث الأخيرة من حياتها أدمنت على شرب الخمرة والمخدرات.

تملكت كارولا قشعريرة الصدمة. وسألت:

ـ أكان هاري يعرف هذا؟

ـ أنا متأكد بأنه كان يعرف. لكن لا فرق فالاثنان معاً لم يخفيا واقع فشلهما الزوجي. زواجهما لم يعد واقعاً منذ عرفت أنها حامل بروزي.

ـ لكن لماذا؟

ـ هذا هو السؤال المحرق... كما يقولون... كانا يبدوان سعيدان خلال السنوات الأولى، فجأة لم يعودا للظهور معاً. ولم تعد هي تخفي واقع انها تتمتع بصحبة غيره من الرجال. جاهد هاري كثيراً

ليحرق نفسه، إلى أن أصبح هذا الرجل القاسي المرير الذي ترينه اليوم.

ـ ألم يكن هناك امرأة غيرها في حياته؟

ـ العديد قبل زواجه... لكن فيما بعد؟... لا.

أضيئت أساريره الرائعة بابتسامة جعلتها تفهم شفافية سؤالها. وأكمل:

ـ وصلت إلى استنتاج أنه فقد اهتمامه بالنساء تماماً... أو ربما... ليس تماماً.

تردده البسيط جلب فكرة ملحة أخرى إلى ذهنها:

ـ وأين موقع دوريس ستيفنز في هذه الصورة؟

لوح بيديه وكأنه يجد ذكر اسمها مكروهاً:

ـ دوريس ستيفنز... لسنوات عاشت في ظل أختها... آملة أن تكتسب قدراتها المسرحية... لكنها لم تكن تمتلك موهبة تسمح لها بأكثر من أدوار صغيرة. وبموت شقيقتها الآن، الصقت نفسها بهاري بنفس الطريقة، آملة كما أعتقد، أن تنجح في التوصل إلى أن تكون السيدة هاري موريل الثانية.

وصفه لعاهات دوريس كان قاسياً، لكن شخصاً في مثل مركزه يجب أن يكون قاسياً... وسألته:

ـ تجعل أمرها يبدو متعمداً، ومثيراً للشفقة.

ـ الحياة هكذا عادة.

ـ أجل... أعتقد هذا.

فكرة أن تحل دوريس مكان شقيقتها كزوجة لهاري كانت مؤلمة لها، فالإمكانية ليست بعيدة نظراً لما تهدده به. فتأوهت في سرها وتفوهت بما يخيفها:

ـ أتظنها قد تنجح في أن تصبح زوجته؟

ـ أتمنى العكس.

للحظتها عادت الأنوار ثانية... وتابع:

ـ سيكون هذا بمثابة كارثة فوق كارثة.

ـ وما هو الذي سيكون كارثة فوق كارثة؟

صوت عميق ألقى السؤال فجأة. فتوترت أعصاب كارولا تتساءل بفزع ما الذي سمعه هاري من حديثهما. نظرت إلى غوردن، لكنه بدا غير مهتم وهو يجيبه:

ـ لو أن الممثلة الأولى في مسرحيتك مرضت ليلة الافتتاح، والبديلة انهارت أعصابها.

أعجبت كارولا برده صامتة، وكادت تنفجر بالضحك، وهي تلاحظ غمزة عينه الخبيثة. فقال هاري بخشونة وعيناه تلاحظان احمرار وجه كارولا:

ـ في هذه الحالة... سنعطي كارولا دور بديلة البديلة... ستكون رائعة للدور لما لديها من مواهب.

أصبح الصمت متوتراً... ماذا يعني بهذا؟ نظرت إلى غوردن باستغراب فسارع إلى القول:

ـ لا أظن هذا يا هاري.

لم تستطع كارولا فيما بعد إيجاد سبب التوتر الذي ساد في تلك اللحظة على الشرفة، فصرفت النظر مفسرة الأمر على أنه محض خيال منها.

ووصلت دوريس في إحدى زياراتها المفاجئة للقصر في نهاية الاسبوع الذي تلا، ومر اليومان اللذان أمضتهما هناك بسرعة، ما عدا حادثة واحدة حصلت لحظة وصولها مباشرة.

كانت كارولا وروزي قد وصلتا لتوهما من زيارة للقرية لتجدا دوريس تتشمس على الشرفة. في ثوبها العاري الكتفين الأصفر

الكاشف عن كتفيها الرائعين اللامعين في وجه الشمس، رافعة طرف فستانها إلى ما فوق الركبة بكثير لتكشف عن ساقيها الطويلتين الجميلتين السمراوتين. وقفت بسرعة لحظة وصولهما الشرفة وحيت روزي بحرارة مصطنعة، لكن روزي لم تنخدع، والأطفال نادراً ما ينخدعون، فبقيت متصلبة وصامتة في حضن خالتها.

سألتها دوريس بحدة، وهي تبعدها عنها قليلاً:

ـ ما بك؟ ألست سعيدة لرؤيتي؟

فردت روزي دون تردد:

ـ لا.

كان رد روزي صريحاً لدرجة الوقاحة، لكن قبل أن تستطيع كارولا اصلاح الأمر، دفعتها دوريس بعيداً. عيناها الخضراوان اشتعلتا غضباً.

ـ أنت فتاة مزعجة وقحة... وسأفعل ما بوسعي كي تحصلي من والدك على القصاص الذي تستحقينه.

ارتجفت شفة روزي السفلى وهي تنظر إلى كارولا قائلة:

ـ سأذهب إلى غرفتي.

فقالت دوريس ببرود:

ـ أجل اذهبي إلى غرفتك، وابقي فيها إلى أن تكوني مستعدة للاعتذار...

وأمسكت بيد كارولا لتغرز اظافرها الطويلة في ذراعها بينما كانت على وشك اللحاق بروزي:

ـ أنت! أريد محادثتك.

نظرت كارولا باستغراب إلى اليد المتأنقة الأظافر وقالت ببرود:

ـ ارفعي يدك عن ذراعي.

فرفعت يدها بسرعة. لكن أثر الأصابع الأربع الغائرة بقي كتذكار، ثم قالت بحدة:

ـ أنت المسؤولة عن تصرفات الطفلة.

ـ استميحك عذراً؟

ـ لا تنظري إليّ بهذه البراءة آنسة وارندر... أنت تعرفين عما أتكلم.

ـ أؤكد لك أنني لم أشجع روزي يوماً على أي تصرف ضدك.

فالتوى الفم الجميل ساخراً:

ـ وأنصحك أن لا تفعلي، فلن أتردد عندها في صفعها، ثم إرسالها إلى مدرسة داخلية لحظة أتزوج من هاري.

تذكرت كارولا تعليق غوردن، فترددت بين الشفقة عليها والخوف منها، إضافة إلى ما خزنته في داخلها، من كمية كبيرة من الغضب:

ـ هذا الموقف لن يحل مشكلتك معها انسة ستيفنز.

ـ ربما لا... لكنه سيبقيها بعيدة عن طريقي معظم الوقت... فشقة هاري ليست كبيرة بما يكفي لثلاثتنا وكلبها الكريه هذا يجب أن أتخلص منه.

الثقة في كلامها صوّرت لكارولا أن زواجها أمر محتم، فأحست برعدة في قلبها. وسألتها:

ـ هل بحثت الأمر مع هاري؟

ارتفع حاجباها المقوسان بعناية:

ـ طبعاً!

ـ هكذا إذن!

فقد اليوم دفأه، وكبحت كارولا اشمئزازها... ترى هل سمح هاري لنفسه أن يقع ضحية ابتزازها والثمن هو الزواج منها أم أنه اقترح هذا بملء إرادته؟ وهل يسمح لنفسه بأن يُخدع مرتين؟ أيعني هذا انه وافق أخيراً على دفع الثمن؟ قطع صوت دوريس حبل أفكارها:

ـ لقد حذرتك بأن زواجنا محتم.

فتمتمت كارولا:

ـ لقد فعلت.

واعتذرت لتدخل المنزل معتمدة على ما تبقى من رباطة جأشها ليحملها لاهثة إلى جناحها. حيث استقبلتها روزي صائحة:

ـ أكرهها!

ـ لا يجب أن تقولي هذا!

ـ لا استطيع منع نفسي... فهذه هي الحقيقة.

جذبتها كارولا إلى أريكة صغيرة لتجلسا معاً متواجهتان:

ـ لقد كنت فظة جداً معها روزي.

ـ أعلم... وأنا آسفة... لكنني أعرف أنها لا تحبني.

فتنهدت كارولا:

ـ كيف يمكن أن تكوني واثقة من هذا؟ لو أنك تعطينها الفرصة، فقد تكتشفين أنها تحبك كثيراً.

صاحت روزي بعصبية:

ـ إنها لا تحبني... وأعرف هذا... وأعرف ماذا تريد... إنها تريد الزواج من أبي... عندها سأضطر أن أكون لطيفة معها لأنها ستصبح أمي الجديدة.

أحست كارولا وكأن الفتاة تكاد تختنق، لم يفتها شيء مما قد يحصل... إنها شديدة الملاحظة أكثر مما يظن الجميع... وسألتها:

ـ هل سيكون هذا أمراً رهيباً؟

ـ أجل... أجل... هكذا سيكون. اوه... كارولا! لماذا لا تتزوجين أنت من أبي. لتصبحي أمي... أفضلك أنت مكانها بدل أي شخص في العالم.

كانت هذه الكلمات اطراءاً ذا قيمة رفيعة، قدمته لها تلك الطفلة

المرهقة... لكنه كان أيضاً بمثابة ضربة موجعة لقلبها.

ـ شكراً لك لقولك هذا يا حبيبتي... لكنني لا أستطيع الزواج منه.

فاتسعت عينا روزي انزعاجاً واحباطاً:

ـ لماذا؟

ـ حسناً... الناس لا يتزوجون هكذا روزي. يجب أن يحبوا بعضهم بعضاً.

ـ ألا تحبين أبي؟

ـ اوه... أجل... أجل احترمه وأعجب به، كثيراً.

ـ لكن إذا حاولت جهدك ستحبينه، ألا يمكنك هذا؟

لم تكن الصغيرة تدرك مقدار العذاب الذي تسببه لقلب كارولا بكلامها البريء هذا. ضحكت كارولا مرتجفة موشكة على البكاء:

ـ اوه... روزي... ليت الأمر بسيط هكذا!

دفنت روزي رأسها في كتف كارولا. ولحسن الحظ لم تلحظ حالة البكاء التي تكاد تستولي على كارولا وهي تضع خدها على الشعر الأسود وتضغط بيدها على الجسد الصغير.

ـ ألا تريدين أن تكوني أمي؟

اشتدت ذراعا كارولا حولها قليلاً. في محاولة لتخفيف الألم الذي يعتمر في نفسها.

ـ أتخلى عن كل شيء في العالم لأكون أمك... لكن...

فجذبت روزي نفسها من بين ذراعي كارولا وسألتها بحدة:

ـ إذن لماذا لا تقولين لأبي؟

ـ لا!

ـ لكن كارولا...

توسلتها كارولا وقد ساد جو من اليأس دفع بالدموع المخنوقة

إلى الخارج:

ـ روزي... حبيبتي...

ـ اوه... حسناً... لماذا يكون الكبار دائماً صعبي المراس؟

خلصت روزي نفسها من بين ذراعي كارولا، وتوجهت إلى غرفتها... فارتمت كارولا على الأريكة وأغمضت عينيها لتمنع الدموع:

ـ اوه... هاري... هاري. لماذا جئت إلى هنا، لماذا اخترت هذا المكان من بين كل الأماكن لأبحث عن عمل؟ لماذا لم أذهب إلى أي مكان صغير آمن لا يكون فيه خطر معرفتك؟

من أجل افتتاح المسرحية التي حددت في أول اسبوع من آخر شهر في السنة. وقبل بضعة أيام سافر الجميع إلى لوس انجلوس لهذا الغرض، وللاقامة في منزل غوردن دانتون، وشرح هاري الأمر فيما بعد والسيارة تعبر أبواب ڤيلا غوردن:

ـ لقد رتبت أمر بقاءك وروزي مع غوردن وزوجته، أما أنا فسأبقى في شقتي.

لم تناقش كارولا الأمر، فالمنزل الهولندي الطراز، وسقفه المثلث الأبيض المنزلق، المنخفض، جذب اهتمامها... وعلمت أنها في يوم من الأيام، لو سنحت لها الفرصة، ستعيش في منزل مشابه وسط المروج والأشجار. وقال هاري بصوت مسترخ لطيف:

ـ إنه مكان جميل... كلما أتيت إليه أحس بجماله وسحره. وسوزان هي من أفضل النساء اللواتي أعرفهن، ولها الفضل في استمرار الهدوء والأمان في منزلها الرائع.

هذا تصريح غريب من فم هاري... لكنها لحظة شاهدت سوزان دانتون، تنزل الدرجات المنخفضة للمنزل لتستقبلهم فهمت ما كان يعنيه بكلامه عن هذه المرأة.

www.elromancia.com

رحبت سوزان بكارولا وكأنها واحدة من العائلة. ثم ادخلتهم إلى برودة المنزل بغرفه الواسعة وأثاثه الأثري المنتقى بعناية والممتزج بدقة مع أثاث أكثر حداثة. أول انطباع لكارولا كان هو ذلك التناسق في الأثاث والألوان. فقد اختارت سوزان الألوان الخريفية المريحة لغرفة الجلوس، والصفراء الشاحبة للغرفة التي ستحتلها كارولا مع روزي.

صينية شاي كانت تنتظر عودتهما من الجولة في المنزل، وروزي الضائعة دون جروها خرجت إلى الحديقة... قالت سوزان لهاري بصوتها الموسيقي العذب:

ـ غوردن ينتظرك في المسرح... وتأكد من عودتكما إلى المنزل قبل السابعة هذا المساء. فأنت تعرف مدى انجرافه في عمله وليلة الافتتاح أصبحت قريبة.

فابتسم هاري:

ـ سأبذل جهدي... لكن أتمنى أن لا ننجرف جميعاً في هذا الوقت؟

فتمتمت سوزان:

ـ يا إلهي... أرى منذ الآن أن العشاء سيفسد.

ـ لكنني لن أتخلى عن عشائك اللذيذ بإرادتي سوزان.

أحنى رأسه لكارولا وقال لها:

ـ أراك فيما بعد.

فضحكت سوزان:

ـ ليس بعد السابعة.

التفتت إلى كارولا بعد مغادرة هاري:

ـ استرخي عزيزتي... لن يصيب روزي ضرر في الحديقة، وأرجو أن تتناولي معي فنجان شاي آخر.

بعد ظهر ذلك اليوم الذي قضته مع سوزان، كان الوقت الوحيد الهادىء الذي شعرت به كارولا خلال إقامتها في لوس انجلوس... بطريقة أو بأخرى، انجرف الجميع في التحضيرات والتصاعد المتزايد للتوتر، ليلة الافتتاح. أكثر لحظات الاحراج لكارولا كانت عندما استراح الجميع في غرفة الجلوس بعد العشاء في آخر أمسية قبل الافتتاح.

النقاش، طبعاً، دار بالتزام حول المسرحية... وبالرغم من معايشتهما التدريبات لفترة طويلة، فقد ظلل تفكير الرجلين عنصر الشك. فسارعت سوزان تحذرهما.

ـ لا تتركا المجال للخوف والشكوك بالسيطرة على الوضع... سيكون النجاح حليفكما. وبعد ليلة الغد، سأعطيكما أنا وكارولا رأينا الثمين... ألن نفعل هذا كارولا؟

ردت كارولا بهدوء:

ـ أخشى أن يكونا مضطرين للاعتماد على رأيك لوحدك سوزان... فأنا سأبقى مع روزي.

انفجرت سوزان بعد صمت متوتر:

ـ هراء! واحدة من الخادمات بإمكانها البقاء معها، ولن يعود لديك سبب ليفوتك العرض الأول.

فقال هاري بكسل:

ـ كارولا لا تقدر عملي حق تقديره سوزي... لذا لا تريد الذهاب.

قالت كارولا وهي تنظر إلى سوزان:

ـ أود الذهاب، لكنني ظننتك لا تريدني ترك روزي.

ـ روزي ستكون بخير هنا مع خدم سوزي.

سارعت سوزان تقول بسعادة:

www.elromancia.com

ـ سوّي الأمر إذن.

لكن كارولا قالت وخداها محمرين:

ـ لم يُسوَّ تماماً. لا أحمل في حقيبتي زياً.

لكن سوزان لم يصدّها هذا التصريح:

ـ غداً سأذهب معك لشراء ما هو مناسب... وأظنني أعرف محلاً محترماً، يعرض أزياءً جميلة.

أخرج هاري سيكارة من علبته الذهبية ليشعلها ويقول:

ـ أنا في مزاج فائق الكرم الليلة، لذا اشتري أي شيء تريدينه كارولا وارسلي لي الفاتورة.

صاحت سوزان بفرح:

ـ هاك الآن. لا تتلقى امرأة عادة عرضاً كهذا. فوافقي بسرعة كارولا... قبل أن يغير رأيه.

زاد الاحراج من سرعة نبضات قلب كارولا وهي تلتقي بنظراته الساخرة:

ـ شكراً لك هاري.

وقف غوردن، اللذي كان يراقب ما دار بتحفظ صامت قائلاً:

ـ والآن، بعد أن رتّب سوزان وهاري مستقبلك القريب أتودين بعض الشراب؟

ـ شكراً لك.

ـ وأنت يا عزيزتي؟

فهزت زوجته رأسها موافقة... فقال:

ـ تعال ساعدني هاري.

وهو يمر من ورائها أمسك بشعرها ليرفع وجهها إليه:

ـ سأترقب منك رأياً صريحاً صادقاً في الغد... لا تنسي.

تفحصت كارولا نفسها في المرآة مرتدية الثوب الحريري المتعدد

الألوان، الذي اشترته بعد الحاح سوزان وإصرارها. وكان عليها أن تعترف أنها قامت بالاختيار الموفق. كان الثوب يكشف عن الكتفين اللذين اكتسبا اللون الذهبي من جراء ساعات قضتهما مع روزي عند الشاطىء، والقماش الناعم التصق بنعومة عند حنايا صدرها، وخصرها الناعم الرقيق. وتركت شعرها منسدلاً كغيمة رقيقة فوق كتفيها. واعتنت أكثر من المعتاد بمكياجها.

أرادت أن تبدو في أحسن حالاتها أمام هاري... لكنها كانت تشك في أن يؤثر به مظهرها... فقلبه متحجر مع النساء... كما أن وجود دوريس في حياته يشغله عن رؤية جمالها.

دق باب غرفتها بينما كانت سوزان معها تشرف على آخر اللمسات، ليدخل هاري:

ـ سنتطلق أنا وغوردن... هل ستتمكنان من الذهاب لوحدكما؟

فردت سوزان بصوت مطمئن:

ـ طبعاً هاري... سنصل إلى المسرح قبل رفع الستارة بكثير.

قبل أن ينسحب هاري لمعت عيناه بغرابة وهو ينظر إلى كارولا. فقالت سوزان بعد خروجه:

ـ ها قد ذهب رجل آخر صعب المراس والطباع بحاجة ماسة لِيد امرأة لتطفىء النار الغاضبة في نفسه.

ـ رجل آخر صعب الطباع؟

ـ أجل يا عزيزتي... في طريقة ما، هاري وغوردن متشابهان طباعاً وأخلاقاً جداً. التقيت غوردن عندما كان ينتج مسرحية كنت بطلتها... واصطدمنا منذ لحظة وقعت عيوننا على بعضنا. وأذكر أنني اعتبرته رجل مستحيل الطباع ودون قلب... لكن للقلب تفكير خاص به. وانتهى بي الأمر واقعة في حبه، وعشت بشقاء لا يوصف إلى أن اكتشفت، بأعجوبة، انه يحبني أيضاً.

ضحكت محرجة لما كشفته لكارولا من أسرارها، ثم أكملت:

ـ لم أتعرف على غوردن دانتون الإنسان إلا بعد أن فتح لي ذراعيه وقلبه. عندها اكتشفت انه حساس جداً، ورجل رائع.

ـ أتظنين هاري سيسمح لأية امرأة أن تقترب منه لتحقق مثل هذه المعجزة؟

ـ أجل... إذا كانت المرأة المناسبة. لقد أخبرني غوردن الكثير عنك. وهو حكم ممتاز على الشخصيات، لكنني بعد مقابلتك شخصياً عرفت أنه محق. لقد فعلت المعجزات مع روزي... وأعرف تماماً أنك قادرة على فعل الشيء نفسه مع هاري.

ـ هذا إذا سمح لي... لو أنه... رائع منك أن تقولي هذا، لكنني أظن بأنه مصمم على الزواج من دوريس.

فشحب وجه سوزان:

ـ لو فعل هذا فسيسقط من تقديري... لكنه ليس بالغبي.

ـ لا... لكن قد لا يكون أمامه خيار.

ساد صمت مميز قبل أن تقول سوزان بهدوء:

ـ حسناً... لست واثقة مما تعنينه، لكنني شخصياً لا أظن أن أمام دوريس أية فرصة.

لم يعد أمامهما وقت، بعد القاء نظرة أخيرة على روزي في فراشها... قادت سوزان سيارتها برفقة كارولا إلى المسرح، حيث أحست كارولا بأنها غريبة وهي تجلس على أفخم مقاعد أمامية بدلاً من تلك التي لا يتمكن الناس العاديون أمثالها من الجلوس على غيرها في المؤخرة. وهمست لسوزان:

ـ هل سينضم غوردن وهاري لنا؟

ـ لا... فأنا أعرفهما، فسيختبئان خلف المسرح ليمارسا قلقهما وهما يراقبان المسرحية، ويلتقطان كل ردة فعل عند الجمهور.

عندما خفت الأنوار للدلالة على قرب بدء المسرحية، اشتد توتر أعصاب كارولا، حتى أن كراس البرنامج اهتز في يدها... فابتسمت سوزان لها مشجعة، لكن كارولا لاحظت أن سوزان كذلك ترتجف... وسرت همهمة بين الحضور والستارة ترتفع، ومنذ تلك اللحظة... لم تع كارولا سوى الأحداث الدرامية الجارية فوق المسرح.

وبانكشاف عقدة القصة، عبر الشخصيات، أدركت كارولا أن المسرحية قد تكون قصة هاري شخصياً. الحب، الكراهية، والتحرر النهائي من الوهم، مفاهيم حركت مشاعر كارولا ونقلتها من حالة الصدمة، إلى حالة البكاء دون خجل... وعندما ماتت أخيراً البطلة الظالمة على يد عاشق سريع الغضب، انهار النظارة جميعاً بتنهيدة ارتياح. لكن هذه لم تكن النهاية، فزوج البطلة، استعاد حريته التي كان يرغبها، ليكتشف أنه أصبح أسير سلاسل المرارة التي تحيط به، حيث لا مهرب منها، ما عدا بين ذراعي امرأة مجهولة سيطرت على الفصل الأخير بتقديمها القدرة على الحب والدفء اللذين بديا، حتى تلك اللحظة، حكمان مستحيلان.

بهبوط ستارة النهاية، أحست كارولا وكأنها خالية من كل مشاعر. وقفت على قدميها كما فعل الجميع عندما ظهر هاري على المسرح ليحيي الجمهور الراعد بالتصفيق، لكنها أحست بانقباض رهيب عند رأس معدتها، جعلها تتمنى لو تجد مكاناً تختبيء فيه إلى الأبد.

الفكرة الوحيدة التي بقيت واضحة في ذهنها، كانت قول هاري لغوردن تلك الليلة في القصر «إنها ستكون رائعة لدور البطلة في عدة طرق».

أهكذا يراها؟ امرأة لا قلب لها، لا يوقفها شيء لتكسب ما تريد

www.elromancia.com

من الحياة، بغض النظر عن التعاسة التي قد تسببها للآخرين؟

لا... لا... هذا مستحيل! لا يمكن أن يفكر بها هكذا بعد الأشهر التي عاشت فيها معه تحت سقف واحد! صحيح إنهما تناقشا حول أمور محدودة، وغازلها قليلاً مرتين، وبالتأكيد لم تمتلىء نفسه بهذه السرعة بالمرارة التي تدفعه للتفكير بها هكذا؟

أحست بيد سوزان على ذراعها:

ـ كارولا... إنهما بانتظارنا خلف المسرح... أتحسين بالتعب عزيزتي؟

ـ لا... لا! أنا بخير.

ـ مسرحية هاري مؤثرة... أليس كذلك.

ـ أجل... كثيراً.

وشقتا طريقهما عبر باب جانبي إلى البهو. برز غوردن، من بين حشد يسعى لتهنئته، نظرة واحدة لقسمات وجهه الرائعة عادة، أظهرت أنه أكثر من راض عن العرض والترحيب الذي لاقاه.

ـ هاري وأنا مشغولان الآن مع الصحافة، لماذا لا تعودان إلى المنزل لانتظار ضيوفنا... سنلحق بكما في أسرع وقت.

ارتياح كارولا لعدم اضطرارها لمواجهة هاري في تلك اللحظات كان لا يوصف. ستجد بذهابها إلى المنزل الوقت الكافي لتستجمع نفسها، وتقرر ماذا ستقول عندما يطلب منها رأيها... سوزان كانت صامتة مثلها في طريق عودتهما، وتصورت كارولا إنها لا زالت تفكر بالمسرحية، كما جميع من شاهدها لمدة ثلاث ساعات. فما من شك إنها كانت ناجحة، وستستمر هكذا طالما تدفق الجمهور لرؤيتها... لكن بالنسبة لكارولا، هذه التحفة التي ابتدعها هاري، أفسدها باتهاماته، واتهاماته صارخة، تعرفها تماماً.

تهربت كارولا إلى غرفتها لتختلي بنفسها... بعد قليل سمعت

سيارة هاري تقترب... لكنها لم تكن راغبة في مواجهته... وسمعت دقاً خفيفاً على باب غرفتها بعد دقيقة. فنادت:

ـ ادخلي سوزان.

لكن الداخل لم يكن سوزان، بل كان هاري... على الفور حاولت الهرب من الغضب الصامت في عينيه... محاولة التفكير بسبب غضبه، وقال لها بخشونة وقد لوى شفتيه بوحشية:

ـ ألم يكن في المسرحية شيء كان له معنى لك؟ ألهذا السبب تختبئين في غرفتك، لأنك لم تستطيعي مواجهتي بالحقيقة؟

ـ لم أكن مختبئة منك هاري.

ـ حقاً؟ لماذا لم تكوني إذن في الطابق السفلي عندما وصلنا؟

ـ صعدت القي نظرة على روزي... ثم... أردت البقاء وحيدة للحظات.

ـ لماذا؟

ـ لأفكر بالمسرحية.

ـ و؟

ـ كانت رائعة.

ـ أهذا كل شيء؟

ـ أمن المفروض أن يكون هناك شيء آخر؟

فرد بحدة:

ـ لا... إذا لم تجدي في المسرحية شيئاً له ميزة خاصة لك، فأنا اسأت تقديرك تماماً.

ـ لا أظن أني فهمت.

ـ لا... لن تفهمي... قد تفهمين هذا.

أمسكها بخشونة، مثبتاً ذراعيها إلى جانبيها، ليضمها إليه بقوة جعلتها تبكي. ذراعاه كانتا وكأنهما تعاقبانها، حتى أنها أصبحت على

شفا الاغماء، لكنه أخيراً تركها... ولم تفتح عينيها إلا بعد أن سمعت الباب يصفق خلفه... فأراحت ساقيها من حملهما بالجلوس على كرسي وراءها.

●●●

١٠ ـ لا حاجة للكلمات

تدفق الضيوف من غرفة الجلوس إلى الشرفة، وأول شخص التقته كارولا عند انضمامها إليهم كانت دوريس... التي قالت لها بصوت عذب مطلي بعسل يخفي وراءه السم:

ـ يبدو لي، أنك كموظفة، تأخذين كل شيء كحق لك. هل أخذت الاذن من هاري لحضور الاحتفال؟

ردت سوزان بدلاً من كارولا، بعد ظهورها الفجائي إلى جانبها:

ـ كارولا ليست بحاجة إلى إذن من أحد لتنضم إلينا. فهي هنا ضيفة عندي.

هزت دوريس كتفيها مبدية عدم الاكتراث، وعيناها تضيقان كراهية:

ـ اوه... حسنا... أعتقد أنك تعرفين أنك ستصبحين دون وظيفة في نهاية هذا الشهر. بعد أن يعود هاري إلى السكن في لوس انجلوس بصورة دائمة؟

أحست كارولا بفراغ داخلها. وكأنها، دون وعي، أقفلت الباب على مشاعرها لتبقى دون مشاعر... فتمكنت من النظر إلى عيني دوريس الخضراوين دون ارتجاف.

ـ أنا واثقة أنه عندما يحين وقت انهاء خدمتي، فسيكون هاري قادر تماماً على صرفي من العمل دون مساعدة منك.

فتحولت نظرة دوريس باستخفاف:

www.elromancia.com

ـ فكرت أن أحذرك إذ لا نفع لك بأخذ راحتك ضمن دائرة اصدقائه.

خطت سوزان فجأة إلى الأمام وصاحت:

ـ أنت لست صديقة لي دوريس. ولم أكن أعلم أنك صديقة لهاري... لذا كوني حذرة قبل أن تتابعي اهاناتك لصديقة لي وفي منزلي.

لم تسمع كارولا من قبل لهجة باردة سلطوية من شخص لم تعرف عنه سوى الدفء والحنان... ولا بد أن دوريس تعرف جيداً أنها تمادت إلى أقصى الحدود. فقد لاحظت كارولا أن بقعتين قرمزيتين قد احتلتا خديها قبل أن تستدير وتغادر الغرفة.

وقالت سوزان من بين أسنانها حانقة وهي تمسك بذراع كارولا:

ـ كم أنها امرأة بغيضة. من الجيد أن أكون متزوجة من رجل مثل غوردن يمكنه أن يكون قاسياً في تعامله مع أمثالها... دعيني أحضر لك شراباً يا عزيزتي... تبدين أنك بحاجة لشيء ينعشك.

وقفت كارولا منتظرة رجوع سوزان تنظر إلى دوريس تقف مع هاري يتحدثان ويتضاحكان... بإمكانها أن تحظى به، فلن تهتم، فهما يتمتعان ببعضهما.

شارفت السهرة «على مضض» على نهايتها بعد منتصف الليل بقليل. ولم تبق كارولا لتحضر مغادرة الضيوف، فقد اكتفت من نظرات هاري الباردة، فاعتذرت لسوزان بعد خروج أول سيارتين من الضيوف.

دوريس كانت آخر من غادر. وراقبتها من نافذة غرفتها تركب سيارة هاري ليوصلها.

بعد تلك الليلة لم يعد أي شيء إلى ما كان عليه بينهما... عادا إلى هيوستن، ثم بالسيارة إلى لونغفيلد صباح يوم الأحد وفي طريق

عودتهما إلى القصر، كان الصمت سيدهما، ولولا ثرثرة روزي أحياناً لانفجرت كارولا بالبكاء. لقد تعودت في الماضي على سخريته لكن عدم اهتمامه البارد كان أكثر إيلاماً من أي شيء اختبرته معه.

الجو في قصر بكلاند، في فترة عيد الميلاد لا يمكن وصفه سوى بأنه لا يطاق. وكانت كارولا دائماً تهرب إلى الشاطىء مع روزي حيث كانتا تقضيان بضع ساعات تخلو من الهم مع «الشيطان»... العمة ايما اثارتها كذلك الزيارات العديدة التي قامتا بها خلال هذه الفترة... مع أنها أبدت ملاحظات على الظلال السوداء التي بدأت تظهر حول عيني كارولا، إلا أنها لم تفسر لها السبب. فهي كانت تتجنب الخوض بمشاكلها.

دعاها مارك لتناول العشاء معه في إحدى الأمسيات، فقررت أن هذه فرصة لها للتحدث معه. لكن عندما واجهته عبر طاولة العشاء، انحبست الكلمات في حلقها، وبقيت صامتة. لكن الفرصة سادت بينهما في النهاية وهما عائدان إلى المنزل. فقد أوقف مارك سيارته على مرتفع يطل على القرية. وجلسا لبضع دقائق يراقبان البحر يلمع تحت ضوء القمر.

ـ أظن أن روزي ستعود إلى المدرسة الداخلية في السنة القادمة؟

ـ أجل... أعتقد هذا.

ـ وكم ستبقين معها في القصر؟

ـ إلى ما بعد السنة الجديدة بقليل... لماذا؟

سؤال سخيف، فهي تعرف أين سيقود الحديث.

ـ هل فكرت بخطة للمستقبل؟

ـ لا.

ـ كارولا، نعرف بعضنا منذ أشهر الآن... و...

فقاطعته:

www.elromancia.com

ـ أنت صديق عزيز يا مارك. وسأفتقدك عندما أغادر القرية.
ـ لست بحاجة لمغادرة القرية... باستطاعتك الزواج مني.
ـ أنا... لا أظن...
قاطعها بإلحاح:
ـ لا بد أنك عرفت أنني أحبك كارولا.
يده لامست كتفها، وأحست كأنها مجرمة وهي تبتعد عنه، لكن يجب أن تقول له:
ـ أجل... أعرف... وأنا آسفة.
ـ هل يعني هذا...؟
ـ يعني شعورك نحوي يشرّفني جداً... لكنني لا استطيع الزواج منك دون أن أحبك مارك... صحيح أنني متعلقة بك... لكن...
وابتلعت ريقها بصعوبة، فتراجع مارك ليشعل سيكارة، وهذا أمر نادراً ما يفعله... ثم سألها بعد صمت طويل:
ـ أهناك شخص آخر؟
ـ أجل... لكن لا رجاء من حبه.
ـ هاري موريل؟ هذا ما ظننته... أيعرف مشاعرك نحوه؟
ـ لا... أخشى أن يكون حباً من جانب واحد.
اطفأ مارك سيكارته، واستدار ليواجهها ثانية بنفس اللهفة التي أظهرها قبل قليل.
ـ كارولا... يا عزيزتي... لماذا تضيعين وقتك مع رجل لم يقدّرك حق قدرك؟ يمكننا أن نسعد معاً لو حاولنا.
إذا لم تستطع بالكلمة اقناعه، فعدم تجاوبها مع محاولته عناقها هو الرد الأنسب. ثم همست بعد أن تركها:
ـ مارك... ستبقى دائماً الصديق العزيز جداً على قلبي... لكنني لن استطيع الزواج منك ومشاعري مع... شخص آخر...

فلن يكون هذا انصاف لك، لأنك تستحق كل السعادة.
حاول أن يبتسم بعد طول صمت لكنه لم ينجح بذلك:
ـ حسن جداً كارولا... لكن تذكري... سأكون دائماً موجوداً إذا احتجتني يوماً.
انحنت نحوه لتقبل خده شاكرة:
ـ سأذكر هذا مارك... و... شكراً لك.
وصلا القرية بعد بضع لحظات، حيث لمحت كارولا سيارة متوقفة قرب منزل العمة ايما... فخفق قلبها بشدة... إنها سيارة هاري! لكن ماذا يريد هاري من عمتها، ولما هذه الرغبة الفجائية للتعرف إليها؟
فتحت أبواب القصر آلياً وعبر مارك بسيارته وبينما كانت كارولا تودعه، قررت أن تزور عمتها لتعرف سبب وجود هاري هناك.
حال ان استطاعت في الأمسية القادمة، سارعت كارولا إلى منزل عمتها، وهناك، في الجو العائلي داخل المطبخ الدافىء، قررت سؤال عمتها:
ـ تناولت العشاء ليلة أمس مع مارك في المطعم... وفي طريق عودتنا لاحظت أنه كان لديك زائر.
رغم صعوبة إثارة العمة ايما، بدا عليها إنها تلاقي صعوبة في حمل صينية الشاي... وأجابت:
ـ أجل... كانت زيارة السيد موريل لي غير متوقعة.
ـ ماذا كان يريد؟
ـ اوه... معظم حديثه كان عن روزي... وقال إنه سعيد بتحسن صحتها، وسألني عن المدارس المحلية، فهناك إمكانية في استمرار سكنه في قصر بكلاند.
هذا ما يتناقض مع قول دوريس بأنه عائد إلى المدينة... وبعد

أن كانت معنوياتها منهارة لدرجة قررت السفر قالت وهي تبتسم:

ـ لا استطيع تصور دوريس تتخلى عن حياة المدينة لتستقر في قصر ريفي.

ـ دوريس؟

ـ دوريس ستيفنز. إنها خالة روزي... المرأة التي سيتزوجها ألم يحدثك بذلك؟

سجلت عينا العما الرماديتين الدهشة، وشيئاً آخر لم تعرفه كارولا:

ـ حسناً... أجل... لقد ذكر شيئاً عن الزواج.

إذن، لقد تقرر الأمر، وأقنعته دوريس أخيراً بزواج سيكون أكثر تدميراً له من زواجه الأول... إنه غبي! أما هي فغبية أكبر لأنها أحبته! وتابعت تفكيرها بصوت مرتفع:

ـ مسكين هاري... ومسكينة روزي!

جواب عمتها جعلها تدرك أنها تلفظت بما تكنُّه بصوت مرتفع:

ـ لماذا تقولين هذا؟

ـ اوه... لا شيء... ما رأيك به الآن بعد مقابلته؟

ـ إنه رجل دمث الأخلاق وليس ذلك الشخص المغرور الذي كنت أظنه. ومن المؤسف وجود ذلك الجرح في وجهه.

ـ أجل...

ـ لكنه لم يؤثر على وسامته.

ـ لا.

وفكرت في نفسها: «اوه... هاري... هاري... لماذا أحببتك بهذا القدر؟» وقاومت رغبة في البكاء على كتف المرأة التي ربتها...

وقاطع صوت العمة أفكارها:

ـ هل قررت ماذا ستفعلين بعد أن تتركي العمل في القصر؟

ـ لا... ليس بعد.

وضعت العمة يدها على ذراع كارولا تخفف عنها، وفي قبضتها نوع محدد من اللهفة:

ـ لا تستعجلي يا عزيزتي... هناك متسع من الوقت للتقرير.

إنها ملاحظة غريبة من عمتها، التي طالما أصرت في الماضي، على أن القرار يجب أن يؤخذ على الفور، لا أن يوضع على الرف.

وصلت دوريس إلى القصر في الليلة التي تسبق عيد الميلاد، معلنة أنها ستبقى إلى ما بعد السنة الجديدة. وبمراقبة تعبير وجه هاري لوصولها لم تلاحظ كارولا إذا ما سرّه بقائها أم لا. وبتصميم على تجنبهما معاً... خرجت تنضم إلى روزي وكلبها في الحديقة. نيتها كانت إبعاد روزي عن طريق خالتها، لكن ما أن خطت إلى الردهة، حتى دخلت روزي راكضة وهي في حالة هستيرية فنادتها كارولا:

ـ روزي!

وحاولت اللحاق بها، ولكنها شاهدت دوريس تدخل من الباب الأمامي فاستدارت نحوها لتسأل:

ـ ماذا جرى؟

نظرت إليها دوريس بوقاحة مهينة:

ـ ليس من شأنك معرفة ما حصل... لكنني قلت لها إنك ستغادرين المنزل قريباً، وإننا دبرنا أمر رحيلها هي كذلك إلى مدرسة داخلية.

ـ ماذا قلتِ؟

ـ حسناً... يجب أن يخبرها أحد، والأقرب أفضل.

لم يكن هناك مجال للشك بنظرة الرضى في عينيها الشريرتين. فاجتاحت كارولا موجة غضب، وجدت صعوبة في كبحها... لم

تشعر في حياتها انها راغبة في فعل شيء مؤذٍ جسدياً... وقالت ببرود قاتل:

ـ دوريس ستيفنز... إذا كنت قد تسببت بتدمير كل ما فعلته خلال الأشهر الماضية بتكدير تلك الطفلة مجدداً... أقسم أنني سأجعلك تندمين على ما تبقى من حياتك!

صاح صوت هاري الأجش العميق من ورائهما:

ـ ماذا يجري هنا؟

فاستدارت كارولا لتواجهه، وعيناها مسودتان بغضب صارخ، وقالت بصوت يقارب الصياح مشيرة إلى دوريس:

ـ اسألها!

غير قادرة على تحمل رؤيتهما معاً، مرت بسرعة من أمام هاري لتصعد السلم تفتش عن روزي. حيث وجدتها مستلقية مكومة فوق الصوفا في غرفة الجلوس الصغيرة، جسدها النحيل الصغير يرتجف من النحيب. فصاحت، وهي تجمع الطفلة بين ذراعيها لتهدىء من روعها:

ـ روزي حبيبتي... لا تبكي! بكاؤك يحطم قلبي.

ـ قالت... قالت... انك ذاهبة... وانني... انني ذاهبة إلى... مد... مدرسة داخلية.

وأغرقت وجهها تنتحب من جديد على كتف كارولا، يداها تتمسكان بيأس بقميصها... وأكملت:

ـ قولي ان الأمر ليس صحيحاً... كارولا... قولي إنها كاذبة!

اشتدت ذراعا كارولا حول الطفلة وهي تبتلع ريقها بصعوبة:

ـ روزي... هدئي نفسك... ستمرضين إذا بكيت هكذا.

ـ كارولا... لا أهتم... لذهابي إلى المد... المدرسة الداخلية... لكن... لكن... عديني أن لا تذهبي... عديني أن

تبقي!

مسحت كارولا خصلات الشعر الأسود عن وجه الفتاة المبلل بالدموع، كما كانت تفعل في الماضي. وتمنت من كل قلبها لو تستطيع اعطائها الراحة والطمأنينة التي تريدها.

ـ حبيبتي... لقد استعدت صحتك... ويجب عليّ أن أبحث عن وظيفة في مكان آخر.

فصاحت روزي وهي ترفع وجهها الأحمر الصغير:

ـ مع ذلك بإمكانك البقاء هنا. وإذا كنت مضطرة للذهاب إلى المدرسة الداخلية، سأفعل، لكن يجب أن تكوني هنا عندما أزور المنزل في العطلات... أرجوك لا تذهبي كارولا... أرجوك!

ـ أنت لن تذهبي إلى المدرسة الداخلية... وكارولا لن تذهب من هنا يا طفلتي الحبيبة... كارولا ستبقى هنا حيث تنتمي!

لم تسمعا صوت خطوات هاري وهو داخل عليهما، لكن أعصاب كارولا توترت عندما نظرت إليه... ماذا يحاول أن يفعل؟ أن يؤخر المحتم؟ ثم اجتاحت فكرة رهيبة رأسها... إذا كان يتوقع منها أن تبقى لتشهد زواجه من دوريس، فهذا أمر مستحيل... لا! أبداً لن تبقى لترى ذلك يحدث... حتى ولا من أجل روزي. وسمعت روزي تسأله بإثارة:

ـ أتعني هذا يا أبي؟

ـ أعني كل كلمة قلتها!

ـ يوبي...!

جفت دموعها على الفور وهي تقفز في مكانها فرحاً.

وقال هاري بهدوء:

ـ والآن انزلي إلى المطبخ، فسالي تخبز لك بسكوتك المفضل، وأنا واثق أنها لن تمانع أن تتذوقي بعضها.

قفزت روزي إلى كارولا لتحتضنها، ثم سارعت تخرج من الغرفة. وقفت كارولا لتلحق بروزي وقالت:

ـ كيف تقول لها إنني سأبقى وأنت تعرف أن هذا غير صحيح؟

ـ لأنني أريدك أن تبقي كارولا... دائماً.

ـ لكنني لا استطيع البقاء... هذا مستحيل!

ـ أعرف أنك متيمة بروزي... فهل أنا من تجدينه منفراً.

ـ لا! لا أجدك منفراً... أنا...

ساد توتر غير محتمل بينهما، وشيء آخر جعل كارولا تحس وكأنها على وشك الوقوع من فوق حافة هوة... حبست أنفاسها لا تجرؤ على رفع نظرها إلى أعلى من زر قميصه... وسمعته يقول:

ـ أريدك كارولا... هل يعني هذا لك شيئاً.

ـ ماذا تعرض عليّ بالضبط هاري؟

ـ الزواج... مع كل حواشيه اللازمة، إذا كان هذا ما تريدين؟

سألته مقفلة عقلها، وقلبها، في وجه قوة وسلطة عينيه:

ـ ألم تغض النظر عن شيء؟ أنا أشبه بطلة قصتك... ألا تذكر؟

اقترب منها كثيراً لدرجة كاد يلامسها وقال بخشونة:

ـ ولكنك لست مثلها مطلقاً!

ـ لكنك قلت لغوردن...

ـ افترضت أنكما كنتما تتناقشان في المسرحية، ولم أقصد أن تكون ملاحظتي جدية.

هل ستجن... أم أن هذا أمر واقع؟ إنها لن تستغرب منه أن يفعل هذا، فلطالما عذبها باغوائه هذا. وتذكرت ما قاله لها ليلة الافتتاح: إذا لم تجدي شيئاً في المسرحية له ميزة خاصة لك، فأنا اسأت تقديرك تماماً.

فجأة توضح لها كل شي، وضوح طعنها في قلبها وهي ترى

المرأة الظل، في المشهد الأخير، تعطي البطل سبيل الخلاص من عقدته.

فهمست ترفع نظرها إلى السماء، خائفة من أن تصدق أنه يعنيها:

ـ اوه... هاري! كل ما استطيع التفكير به... هو أنك كنت تراني في شخصية البطلة. فلا عجب أنك كنت غاضباً مني عندما لم أفهم رسالتك الغامضة لي في المشهد النهائي... كنت تقصدني أنا... أليس كذلك؟

رقت عيناه لدرجة جعلتها ترتجف، وقال بلمحة ساخرة:

ـ وهل يمكن أن أقصد فيها شخصاً آخر؟ وأنت الشخص الوحيد الذي لديه القوة لتحريري من عقدي؟

واحتواها بين ذراعيه، يختلط بكاؤها بضحكها، قبل أن يزداد ضغط ذراعيه على جسدها ليمحو منه آخر أثر للشك. وسألته لحظة سمح لها بالتقاط أنفاسها:

ـ دوريس... ماذا ستفعل بدوريس؟

فاسود وجهه من الغضب:

ـ لقد فعلت كل ما يجب أن أفعله معها... طلبت منها توضيب حقائبها والخروج من منزلي على الفور. وإذا لم أكن مخطئاً، سمعت سيارتها تنطلق منذ دقائق. ولا أظنها ستعود مطلقاً.

ـ لكن هاري... يجب أن أعرف... هل كانت تهددك بشيء ما؟

ـ لقد تصورت هذا. وسمحت لها بمتابعة تصورها... لقد عاشت عالة علي منذ تزوجت شقيقتها، ولم أجد سبباً يمنع أن يستمر الوضع هكذا بعد موتها... حتى الآن.

دفنت كارولا وجهها في كتفه، فسمعت ضربات قلبه الثقيلة بعد أن شدها إليه، فتعلقت به... قبل أن تهمس:

www.elromancia.com

- لقد تفوهت بتصريحات رهيبة.
- إنني حاولت تسميم زوجتي، وانني قتلتها؟
- أجل.
- وهل صدقتها؟
- لا... بدا كلامها مقنعاً، لكنني لم استطع أن أصدق بأنك قاتل.
- ثقة عمياء؟
- شيء من هذا.
- يا إلهي كارولا! أنا لم التق بمثلك بعد... تملكين كل شيء يجب أن تملكه المرأة، لطيفة، متفهمة، ولك قدرة هائلة على الحب... أنت تحبينني فعلاً... أليس كذلك؟

فضحكت:

- ألم أكشف عن نفسي بحماقة؟
- اجلسي يا عزيزتي... هناك الكثير أشرحه لك. من أين أبدأ؟

لم يجلس قربها، وأحست بضياع لابتعاد ذراعه من حولها.

- لماذا لا تبدأ منذ البداية هاري؟

فضحك بدوره:

- البداية؟... ثقتي بالنساء تحطمت في سن صغيرة عندما هجرت أمي أبي سعياً وراء الثراء، ومات أبي بعد سنة. سامحيني لقساوة ما سأقوله، لكن يجب أن تعرفي الحقيقة. عرفت الكثير من النساء قبل زوجتي. لكنني لم أكن جاداً معهن، أما هي فكانت ذكية في اخفاء حقيقة شخصيتها. وتزوجتها، وبعد سبعة أشهر رزقنا جون... زواجنا لم يكن ناجحاً. كانت هي تحب المسرح، وتحب الرجال بنفس القدر. ثم اكتشفت أنها حامل بروزي، وثارت ثائرتها علي... خلال هذه الثورة عرفت الحقيقة... جون لم يكن ابني كارولا.

- وروزي؟
- روزي ابنتي. فبعد معرفة الحقيقة حول جون، أجريت كل الفحوصات الضرورية لأحصل على برهان طبي يثبت أنها من صلبي... بعد هذه الحادثة تدمر الزواج... ولم أخبر أحداً بما اكتشفته، لكنني لم أعد ألمسها بعدها.
- إذن لم يكن لدوريس ممسك جدي عليك؟
- مطلقاً... وأعتقد أنها صدقت كذبتها واستخدمتها عندما كانت تحتاج إلى مال... وكنت أتسلى بتركها تعتقد أنها تبتزني.
- لقد جعلتني أعتقد أنها نجحت في ابتزازك للزواج منها.
- إنها كالشيطان... وهل صدقتها؟
- لم أكن أدري ما الذي يجب تصديقه... بدت لي مقنعة... لكن أخبرني عن الحادثة!
- طلبت مني زيارة اصدقاء لها... حيث تقوم حفلة من الحفلات المقيتة المستهترة. كنت بحاجة إلى قليل من الراحة فقبلت... في منتصف الحفلة اختفت، وسرعان ما اكتشفت السبب عندما شاهدت زوج صديقة لها يخرج من غرفة نوم. فدخلت ووجدتها تضرب روزي، والسبب واضح وهذا ما أغضبني أكثر من أي شيء آخر. فقررت مغادرة الحفلة قبل حصول فضيحة علنية... فتشاجرنا إلى أن فقدت أعصابي وهددتها باستعمال العنف إذا لم تتمالك نفسها. وسمعت دوريس هذا، ففكرت بشيء آخر تهددني به... كارولا...
- اصدقك، هاري. تابع كلامك.
- حاولت زوجتي أن تتابع الشجار في السيارة، لكنني رفضت أن أثور وأنا أقود. لكن صمتي أثارها أكثر. فأمسكت بالمقود بهستيرية وكانت لها قوة المجنونة لحظتها، ففقدت السيطرة على السيارة، وانقلبت في خندق مائي، فاندفعت بقوة الصدمة إلى الخارج وانسحقت تحت السيارة، وقتل جون فوراً، بينما أنقذت روزي لأنها

www.elromancia.com

كانت مستلقية على المقعد الخلفي فارتمت على أرض السيارة.

قطعت كارولا المسافة بينهما لتجلس على طرف مقعده وتضع رأسه على صدرها، فالتفت ذراعه حول خصرها، ومررت اصابعها بلطف على جراح وجهه.

ـ هاري... يجب أن أقول لك... لقد عرفت سبب كوابيس روزي منذ مدة.

وأعادت عليه القصة التي حكتها لها روزي، مما أكد شكوكه بأن الفتاة شاهدت أمها في أحضان الرجل الغريب.

ـ يا إلهي العزيز! لا عجب أن الفتاة المسكينة كادت تجن!

ـ لم يعد الأمر مهم الآن هاري. الماضي انتهى الآن، ولم يبق أمامنا سوى المستقبل.

ـ شكراً لك كارولا.

ـ ماذا كنت تفعل عند عمتي؟

ـ ذهبت لأرى إذا كانت تمانع في أن تتزوج ابنة أخيها من رجل مثلي... أحبك كارولا.

انتظرت طويلاً لتسمع منه هذه الكلمات، وها قد حدثت المعجزة، فانفجرت الدموع من عينيها، فأخذ يمسحها بشفتيه عن خديها... وتعلقت به... ثم سألته:

ـ متى اكتشفت حبك لي؟

ـ منذ البداية كما أعتقد... أردتك، لكنني لم أكن أثق بامرأة.

ـ أتثق بي الآن؟

ـ ثقة عمياء.

ـ هاري... لكنني لست كاملة.

ـ ولا أنا. فهل تتزوجيني يا حبيبتي؟

حبيبتي! إنها كلمة لم تكن تعتقد أنها موجودة في قاموسه، مع

ذلك تخرج رنانة من شفتيه في هذه اللحظات. تنهدت بسعادة:

ـ أجل... سأتزوجك يا حبيبي.

فتمتم بالحاح وفمه على رقبتها:

ـ يجب أن يتم هذا في الحال... أتظنين أنك قادرة على تحويل قصر بكلاند إلى بيت عائلي حقيقي؟

ـ اوه هاري... أجل. أتعني بهذا أنك تريد السكن هنا، وأن روزي ستتمكن من الذهاب إلى المدرسة المحلية؟

ـ صحيح.

ـ حبيبي... أحبك كثيراً... هذه أجمل هدية ميلاد تلقيتها. أحبك.

ـ ماذا قلت... لم اسمع آخر كلمة جيداً.

واقترب فمه من فمها، فاختارت روزي تلك اللحظة لتدخل كالعاصفة إلى الغرفة، جمدت مكانها للحظات تحدق بهما قبل أن تسأل بذهول:

ـ أيعني هذا أنكما تحبان بعضكما الآن. وأنك ستصبحين أمي الجديدة؟

ضحكت كارولا، محمرة الوجه لدرجة أصبح لونه قرمزي:

ـ أجل حبيبتي.

صاحت روزي بأعلى صوتها سعيدة، وعانقتهما معاً:

ـ لننزل إلى تحت لنحتفل... فخالتي دوريس ذهبت منذ زمن، وهذا يعني أن نحتفل ثلاثتنا فقط.

لف هاري ذراعيه حول كل منهما.

ـ بالتأكيد لدينا شيء نحتفل به... وستحضر لنا شيلا الليمونادة فلتفعل كما اقترحت روزي.

وهم يقبلون بعضهم بعضاً ويتمنون لبعضهم أمنيات العيد لم تعد

www.elromancia.com

كارولا تستطيع كبح دموعها... سعادتها أكبر من أن تصدقها. لكنها هنا، يده ضاغطة على خصرها، والنار في عينيه وهو ينظر إليها من فوق حافة كأسه.

لم يعد هناك حاجة للكلمات، فعيونهما كانت مرآة لأرواحهما... وقريباً... في القريب العاجل... سيتحقق الحلم... وستصبح له... إلى الأبد.

●●●

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة